13 me Année No. 629

Lundi - 23 - 7 - 1945

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٢٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ شعبان سنة ١٣٦٤ — ٢٣ يوليو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الصوت والشخصية

للأستاذ عباس محمود العقاد

بحث أصحاب الموسيقى فى الصوت الإنسانى من نواحيه الفنية فقالوا فيه كل ما يعنيهم أن يقولوه، ولكنى لا أظنهم وفوه بحثاً من ناحية فيه جديرة بالدراسة الطويلة، لأنها تفضى بنا إلى استطلاع أسرار النفس وتركيب الشخصية الإنسانية، ونعنى بها ناحية العلاقة بين الأصوات والشخصيات

تلقى إنساناً فى الطريق فتتوقع أن تسمع له صوتاً معيناً يناسب ما رأيته من ملامحه الشخصية، ثم يتكلم فتسمع منه ذلك الصوت الذى توقعته، أو تسمع صوتاً لا يلفتك إلى غرابة فى التوفيق بين ما رأيت وما سمعت

وتلقى إنساناً آخر فيتكلم، فإذا أنت قد فوجئت بصوت لا تنتظره، ولا يبدولك أنه يناسب تلك الشخصية فى جملة مظاهرها، ولا يرجع الأمر إلى القوة والضعف أو الارتفاع والهبوط، فقد يكون الصوت قوياً كما توقعته، ولكنه من معدن غير معدن الشخصية التى وزنتها بالعين والبديهة والخيال

برزت هذه المسألة عندى بروزاً واضحاً بعد انتشار الصور المتحركة الناطقة وظهور الساسة والعظماء فيها متحدثين أو خطباء أو منشدين، ولم يلفتنى الأمر من جانب الممثلين والممثلات، لأن الذين يختارونهم يتعمدون اختيارهم وفاقاً لوقع الصوت والمنظر فى نفوس المشاهدين، وإنما لفتنى من جانب الوزراء والقواد والرؤساء، لأن أصواتهم بعيدة من توفيقات ذلك الاختيار المقصود

فمن الأصوات التى قرأت عن أصحابها ورأيت صوراً لهم، وعرفت أخباراً عنهم، ثم سمعتهم فلم أشعر بالغرابة فيها، سمعت صوت فرنكلن روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق وهو يخطب فى البرلمان ويتحدث إلى الصحفيين، فلم يكن فى حديثه ولا فى خطابته يخالف ما توقعت من صفة الصوت ولا من نبرته وإيقاعه، بل خيل إلى أن صوت روزفلت لا يمكن أن يكون إلا على هذه الصفة وهذا الإيقاع

أما الأصوات التى استغربت أن تكون لأصحابها، فمنها صوت شرشل وصوت مصطفى كمال، وليس ذلك لضعف فيهما أو مناقضة لصفات الرجلين الرفيعة، ولكن لأنها من معدن لا يطابق ما ترتسم فى نفسك من صورة الشخصية كما تتخيلها وأنت تسمعها. ويزيد دلالة هذه الملاحظة أن الصوت ليس هو الشيء الوحيد الذى تستغربه من شخصية بطل الترك أو بطل الإنجليز؛ فإن عزيمة شرشل الحديدية تتراءى لك كأنها فى قناع وراء ملامحه الممزوجة بملامح الطفولة والوداعة، وتتراءى لك طبائع مصطفى كمال الغلابة وكأنها

تتردد فى اتخاذ تلك المعارف الوجهية التى تطل منها فى بعض حالاته.
فإذا أردنا أن نقول إن العلاقة بين الصوت والشخصية لا تختلف عرضاً واتفاقاً وجدنا الشواهد على ذلك ماثلة فى أحوال الاتفاق وأحوال الاختلاف بين الأصوات والشخصيات

ومن المحقق أن قوة الصوت أو ضعفه لا ترتبطان بالحنجرة وحدها ، أو بأجهزة الصوت المحلية فى مجارى التنفس بين الحلق والرئتين . فإن هذه الأجهزة المحلية قد تكون على ضعف ظاهر من الوجهة الصحية ، ولكنها تعطيك صوتاً قوياً يروع السامع وينقل عن « شخصية » صورة تنم على القوة والتأثير . ولا شك أن مئات بين النساء أصح حنجرة وصدراً من مئات بين الرجال ، ولكنك تسمع هؤلاء الرجال وأولئك النساء ، فلا تخطىء الفارق بين قوة الأصوات هنا وقوة الأصوات هناك . ولعلك لا تخطىء الاستدلال على القوة من صوت المرأة نفسه إذا كانت على نصيب من قوة الشخصية وصدق العزيمة ، مما يوحى إلينا أن الرخامة لا تحرم الصوت مزية التعبير عن الصفات الشخصية ، حيث تغلب الرخامة على أصوات النساء

وعندك أناس تنطمس فيهم معالم الشخصية ، فلا تستغرب لهم صوتاً من الأصوات كائناً ما كان ، ولكنك لا تحس أمامك شخصية واضحة المعالم إلا قرنتها بصوت تتوقعه واستغربت أن تسمع لها صوتاً آخر غير الصوت الذى يناسبها فيما يدر إليك . ودع عنك دلالة الصوت على التهذيب والتربية ؛ فإن هذا قد يرتبط بأداء المعانى وانتقاء الكلمات وصقل المخارج والعبارات ، ولكنك إذا أغضيت النظر عن هذه العوارض التى تكسب بالتعليم بقيت للصوت صفة أصيلة تنم على العقل ولا يسهل أن تختلط فيها أصوات العارفين وأصوات الجهلاء ، أو أصوات العقلاء وأصوات المجانين

والمسألة فيما أراه قابلة للتعميم فى أوسع نطاق ، فإن ارتباط الصوت بالخصائص البدنية والخلقية يعم سائر الأحياء ولا ينحصر فى الإنسان وحده ، بل ربما تجاوزنا الأحياء إلى كل كائن من الكائنات له صوت معروف ومعهود

ما قولك مثلا إذا سمعت زئير الأسد من الحصان ؟ أو سمعت مواء الهرة من الخروف ؟ أو سمعت عواء الذئب من الثعبان ؟

ليس من اللازم أن يكون صوت الأسد مطابقاً للزئير الذى عرفناه وعهدناه ، غير أننا إذا سمعنا الزئير من الحصان وسمعنا الصهيل من الأسد شعرنا بالغرابة ولا مراء ، وشعرنا بين الصوتين والحيوانين باختلاف يحتاج إلى تصحيح ، ويبدو لنا أننا نشعر بهذا الاستغراب وإن سمعنا الصوتين لأول مرة بمعزل عن أثر العادة وطول التمييز بين مصدر الزئير ومصدر الصهيل

ولماذا مثلا لم توهب ملكة التغريد إلا للمخلوقات التى تطير فى الهواء ؟ ولماذا كانت هذه الملكة فى تلك المخلوقات وقفاً على الطيور الصغيرة الوديعة دون الطيور الكبيرة الكاسرة ؟ ولماذا هذا الاختلاف بين النسور والبلابل ، أو بين الصقور والقمارى ، أو بين العقبان والعصافير ؟

إن الخلائق التى تمشى على الأرض تعبر عن خوالجها ببعض الأصوات المعهودة ، ولكنها لا تحسب من قبيل التغريد والغناء ، وكذلك النسور والصقور والعقبان تدلك بأصواتها على رضاها وغضبها وعلى مناجاتها ونداتها ، وتقصر عن تمثيل تلك الأصوات فى أنغام كأنغام الطيور التى تحسن الصفير والهديل . فهناك ارتباط وثيق إذن بين تكوين الجسم كله وتكوين الخلق فى صميمه ، وبين طبيعة الصوت وقدرته على ترجمة « الشخصية » لمن يصغى إليه . وليس اتفاقاً ولا خلواً من المعنى أن يغنى البلبل والعصفور ، ولا يغنى الأسد والثعلب ، وأن يكون التغريد على العموم مرتبطاً بالقدرة على الطيران ، فإن الصوت هنا ترجمان صادق يلخص لنا كثيراً من الخصائص المتفرقة التى تتغلغل فى طبيعة البيئة وطبيعة البنية وطبيعة الشخصية فى أوسع حدودها ، وتلهمنا المعانى التى يمكن أن نستخرجها من تحقيق العلاقة بين أصوات الناس ومعالم الشخصيات ، فتفتح لنا فتحاً موفقاً فى عالم النفس وأسرار الأخلاق ، وتنشىء لنا فراسة جديدة تنم على السريرة بالسماع

ومن الأصول التى يعتمد عليها البحث فى هذا الموضوع أننا كما قدمنا نربط بين الصوت والشخصية ونتوقع من كل شخصية معروفة صوتاً يناسبها ويعبر عنها ، وإن اتفاق الصوتين بين الآدميين

فى إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٩ —

* ج ٧ ص ٨ :

لا زال شكرى لهما مواصلاً   دهرىَ أو يعتاقنى صرف الفنا

قلت : البيت من (المقصورة) المشهورة ، وقد حرص ابن دريد على أن تشمل جميع المقصور . و (الفنا) هنا — وهو من الممدود (الفناء) لا من المقصور — إنما هو (المنى) أى القدر كما فى الصحاح . وفى شرح المقصورة (طبعة الجوائب) : « المَنى بفتح الميم القدر ، قال :

ولا تقولن لشىء سوف أفعله . حتى تَبَـيَّن ما يَمنى لك المانى

أى حتى تعرف ما يقدر لك المقدر . وفى هذه الطبعة (ممدودة) منسوبة إلى ابن دريد مطلعها :

لا تركنن إلى الهوى   واحذر مفارقة الهواء

ومنها :

وأرى الغنى يدعو الغنى (م) إلى الملاهى والغناء

* ج ١٦ ص ٣١١ :

فى موقف يسلب الأرواح سالبها   حيث المواضى قواض والقنا سَلَبُ

قلت : جاءت (سلب) بفتح السين واللام وهى (سُلُب) بضم الأول والثانى جمع سلوب أى مستلبة للنفس كما فى (المخصص) وبيت القطامى[1] :

ومن ربط الجحاش فإن فينا   قنا سلباً وأفراساً حسانا[2]

يروى على وجهين : قال التبريزى فى (شرح الحماسة) : فالسلب بكسر السين الطويل صفة الواحد ، وقد يوصف الجمع بصفة الواحد إذا كان على بنائه ، وسُلُب جمع سلوب أى تسلب الأنفس .

قلت : وهذا ما قصده (القاسم بن على الواسطى) فى بيته . والسلب بالتحريك ما يُسلب أى الشىء الذى يسلبه الإنسان

(١) بفتح القاف وضمها ، وفي إحدى مقالاتي (فى العقد) فى الرسالة ٢٠٤ بحث فى هذا الاسم .

(٢) يقول : من ربط الحمر واقتناها وكان عيشه منها فانا أرباب الغزو (التبريزى) .

أندر من اتفاق الوجهين ، وهو خلاف المشاهد بين الأحياء الدنيا التى تكاد تتشابه فى أصواتها ولا يشذ منها واحد فى العشرات أو المئات ، ومعنى ذلك أن المسألة أقرب إلى العلاقة النفسية أو العلاقة المعنوية منها إلى العلاقة الجسدية ، لأن الاختلاف الجسدى قوة وضعفا وصحة ومرضاً ، موجود بين الأحياء الأخرى ، فلو كان هو المرجع فى اختلاف الصوت لكان التفاوت فى الصهيل بين مئات الخيل كالتفاوت فى نغمة الصوت وإيقاعه بين مئات الآدميين ، وإنما يقع هذا التفاوت البعيد بين الشخصيات الآدمية من جانب الفوارق العقلية والنفسية وفوارق الملكات والأخلاق .

فإذا استطاع باحث من علماء الصوت وعلماء النفس معاً أن يعقد الصلة بين مقومات الشخصية ومقومات الصوت الإنسانى ، فقد ترجم الإنسان للآذان ، فضلا عن ترجمته أو تفسيره للبداهة والأذهان وهذه دائرة من دوائر البحث الفنى أو العلمى تتسع لمن يشاء من المعنيين بالأصوات أو بالحقائق النفسية ، فليس منا إلا من يقابل أناساً يسمع أصواتهم ويستغرب بعضها أو يمر به بعضها الآخر مرور المألوفات التى لا غرابة فيها ، فإذا شغل نفسه قليلا بتفسير أسباب الموافقة والمخالفة بين الشخصيات وأصواتها ، فلا شك أنه مهتد إلى شىء يفيده فى هذا الباب ، وإذا تجمعت هذه الملاحظات وحسن التعقيب عليها والاستخلاص منها ، فقد تتقرر بها بعض القواعد التى تقيم لنا علماً صحيحاً عن العلاقة بين الصوت الإنسانى والشخصية الإنسانية ، وييسر لنا البحث فى هذا الصدد أننا نعيش فى عصر المذياع والصور المتحركة ، ونستطيع أن نمتحن الفراسة بسماع الصوت دون رؤية الشخصية أو بتغيير الأصوات والشخصيات بالحيل الفنية المعروفة ، وليس فى المباحث النفسية أو الموسيقية ما هو أحق بالعناية من هذا البحث الطريف

عباس محمود العقاد

من الغنائم ويتولى عليه كما فى التاج . قال أبو تمام فى البائية العبقرية :

لم ينفق الذهب المربى بكثرته   على الحصى وبه فقر إلى الذهب

إن الأسود أسود الغاب همتها   يوم الكريهة فى المسلوب لا الساب

* ج ١٢ ص ٨٥ : وذكره (أى ابن جنى) أبو الحسن على بن الحسن الباخرزى فى (دمية القصر) فقال : ليس لأحد من أئمة الأدب فى فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ما له ، فقد وقع عليها من ثمرات الأعراب ، ولاسيما فى علم الإعراب . ومن تأمل مصنفاته ، وقف على بعض صفاته .

قلت : هذا ما جاء فى الدمية بعد (ما له) : « ولا سيما فى علم الأعراب فقد وقع عليها من ثمرة الغراب » .

قلت : والصواب : « ... ما له ولا سيما فى علم الإعراب فقد وقع منها على تمرة الغراب » بالتاء لا بالثاء . والقول من المثل : « وجد تمرة الغراب » قال الميدانى فى (مجمع الأمثال) : يضرب لمن وجد أفضل ما يريد ، وذلك أن الغراب يطلب من التمر أجوده وأطيبه[١] . وضمير منها يعود إلى المشكلات والمقفلات .

* ج ٦ ص ١٦ : وأنت ما لك والغناء ، وما يدريك ما هو؟

قلت : جاءت (والغناء) مجرورة وحقها النصب ، والقاعدة معروفة . ومن أبيات (الكتاب) والشعر لمسكين الدارى :

فما لك والتلدد حول نجد   وقد غصت تهامة بالرجال[٢]

قال الشنتمرى : الشاهد فيه نصب التلدد بإضمار الملابسة إذ لم يمكن عطفه على المضمر المجرور .

* ج ٣ ص ٤٣ : إنى أخاف عليه لقعة العين .

قلت : لقمة العين ، بالقاف لا بالفاء . فى الأساس : لقمه بعينه إذا عانه . وفى اللسان : فى حديث سالم بن عبد الله (بن عمر) أنه دخل على هشام بن عبد الملك ، فقال : إنك لذو كدنة ، فلما خرج من عنده أخذته قفقفة أى رعدة ، فقال : أظن الأحول لقمنى بعينه أى أصابنى بعينه يعنى هشاماً ، وكان أحول .

(١) الأساس : وجد عنده تمرة الغراب أى ما أرضاه . التاج : وجد تمرة الغراب وذلك أنه يتبع أجود التمر فينتقيه . قلت جاءت ثمرة والثمر فى التاج بالثاء وهما بالتاء

(٢) يقول : مالك تقيم بنجد وتتردد فيها مع جدبها وتترك تهامة لخصبها . والتلدد الذهاب والمجىء حيرة وأصله من اللديدين وهما صفحتا العنق (الشنتمرى) .

والكدنة كثرة الشحم واللحم ، غلظ الجسم وكثرة اللحم كما فى التاج . وفى الكامل : نظر أعرابى إلى رجل جيد الكدنة فقال : يا هذا ، إنى لأرى عليك قطيفة[١] من نسج أضراسك .

* ج ٢ ص ٢٨١ : قال جحظة : دعوت فضيلا الأعرج ، وكان عندنا جماعة فكتب إلينا :

أنا فى منزلى وقد رزق الله (م) نديماً   ومسمعاً وعقارا

فاعذرونى بأن تخلفت عنكم   شغل الحلى أهله أن يعارا

قلت : لا مسمّى بفضيل — كسميع — عندهم . هناك فضل وفضيل وفضالة — كسحابة ويضم — و (شغل الحلى أهله أن يعار) برفع الحلى ونصب أهله ، وهو من أمثالهم[٢] .

* ج ١٧ ص ٢١٠ :

يا عجباً لشيخنا الأهوازى   يزهى علينا وهو فى هوان

وجاء فى الشرح : الهوان : الذل .

قلت : (يا عجبا) غير منون لأنه ينادى عجب نفسه ، لا عجبا نكرة غير مقصودة ، والأصل (يا عجبى) أبدلت أو قلبت ياء التكلم ألفاً . وقد تكررت الكلمة بذلك الضبط فى الكتاب . و (هوان) هو (هوّاز) بالزاى . يزهى علينا وهو جاهل ، مبتدئ ، فى الهجى . والبيت لابن الأشرس فى أبى الحسن الأهوازى .

* ج ٤ ص ١٥١ : ... ثم ضرب الدهر من ضربه فرأيت ابن ثوابة قد دخل إلى أبى الصقر بواسط فوقف بين يديه .

قلت : (ضرب الدهر من ضربيه) فى النهاية : فضرب الدهر من ضربانه ويروى من ضربه أى مر من مروره وذهب بعضه . وفى التاج : وضرب الدهر ضربانه : أحدث حوادثه . ومن سجعات الأساس : لحا الله تعالى زماناً ضرب ضربانه ، حتى سلط علينا ظربانه . وقد منع (واسط) من الصرف هنا وفى مواضع كثيرة من الكتاب . وسيبويه يقول : وأما واسط فالتذكير والصرف أكثر .

(١) دثار مخمل .

(٢) أى أهل الحى احتاجوا أن يملئوه على أنفسهم فلذلك لا يعيرون ، وهذا قريب من قولهم : شغلت شعابى جدواى . يضربه المسئول شيئاً هو أحوج إليه من السائل . الجدوى : العطاء أي شغلتنى النفقة على عيالى عن الأفضال على غيري (الميدانى) .

* ج ١٩ ص ١٨٩ :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثروا
للموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان بقائه بلقائه وفراق كل معاشر لا ينصف

وجاء في الشرح : كانت هذه الكلمة بقائه (لقائه) . قلت : « الحياة فاسرفوا » « في الموت » « منها أمان لقائه بلقائه » كما روى الثعالبي في « الإيجاز والإعجاز » والبيتان لمنصور بن اسماعيل المصري الفقيه الضرير . ذكره ابن خلكان وسرد شيئاً من أخباره ، منها أنه أصابته مسغبة في سنة شديدة القحط فرقي سطح داره ، ونادى بأعلى صوته في الليل :

الغياث الغياث يا أحرار نحن خلجانكم وأنتم بحار
إنما تحسن المؤاساة في الشدة (م) لا حين ترخص الأسعار

فسمعه جيرانه ، فأصبح على بابه مئة حمل برّا (قمحا) قلت : في الأساس : وأطعمنا ابن بُرّة وهو الخبز .

* ج ١٤ ص ٢٤٦ : ولقي (علي بن محمد بن دينار) المتنبي فسمع منه ديوانه ، ومدحه بقصيدة أولها :

ربّ القريض إليك الحل والرّحَلُ
ضاقت على العلم إلا نحوك السبل (١)
تضاءل الشعراء اليوم عند فتى صعاب كل قريض عنده ذُلُلُ

قلت : الرُّحَلُ جمع رحلة .

* ج ٧ ص ٢٠٠ : وله (لجعفر بن محمد الموصلي) :

وما الموت قبل الموت غير أنني أرى ضرعاً بالعسر يوماً لذي اليسر

قلت : ربما كان الأصل بهذه الصورة :

وما الموت قبل الموت عندي غير أن
أرى ضرعاً بالعسر يوماً لذي اليسر

* ج ١٦ ص ٤٤ : وتصدر (ابن العديم) وألقى الدرس بجنان قوي ولسان لوذعي فأبهر العالم ، وأعجب الناس .

قلت : الظن أن (العالم) هي (العلماء) و (أبهر) إنما هي (بهر) وهذه تتعدى و (أبهر) فعل لازم . في اللسان والتاج : أبهر الرجل : جاء بالعجب ، وأبهر إذا تلون في أخلاقه دمائة مرة وخبثاً أخرى . وأبهر إذا تزوج بَهيرة مَهيرة (١) ...

(١) قلت : حكم المقصور عليه بألا أن يؤخر تالياً لها وقد جوزوا التقديم وجاء في أشعارهم . وأما (إنما) فتأخير المقصور عليه معها واجب ، ولا يجوز تقديمه .

* ج ٣ ص ١٣ : وأنشدني أبو البركات لوالده :

أنا ابن سادات قريش وابن من لم يبق في قوس الفخار منزعا
وابن علي والحسين وهما أبر من حج ولبى وسعى
من كل بسام المحيا لم يكن عند المعالي والعوالي وَرِعا
طابت أصول مجدنا في هاشم فطال فيها عودنا وفرّعا

قلت : ضبطت (ورعا) بكسر الراء وإنما هي بفتحها هنا . والورع بالتحريك الجبان والورع بكسر الراء الرجل التقي كما في الصحاح . والفعل للتقي ورع يرع رعة وورْعا ، والفعل للجبان ورُع يوْرُع وُرْعا بالضم ساكنة الراء .

* ج ١٦ ص ١٤ :

سقت عهودهم غداء واكفة بهمي ولو أنها من أدمعي تكف

وجاء في الشرح : الغداء : الغادية وهي السحابة تنشأ غدوة .

قلت : الغادية كما فسرت . ولم أقف على الغداء في معجم أو كلام . وعندي أنها (عزّاء) . في اللسان : العز المطر الكثير ، أرض معزوزة أصابها عز من المطر . والعزاء : المطر الشديد الوابل .

* ج ١٦ ص ١١٦ : وإنما كان مقصودي أن أدعك تعيش خائفاً فقيراً ، غريباً ممجَّجاً في البلاد : وجاء في الشرح ممجحاً أي مشرداً .

قلت : مُمَجَّجا . في التاج : أمجّ الفرس جرى جرياً شديداً ، وأمج زيد ذهب في البلاد ، وأمج إلى بلد كذا انطلق . وهذا ما قاله (التاج) في مجّج : (ومجج تمجيجاً إذا أرادك بالعيب) هكذا في سائر النسخ (نسخ القاموس) ولم أدر ما معناه ، وقد تصفحت غالب أمهات اللغة وراجعت في مظانها فلم أجد لهذه العبارة ناقلاً ولا شاهداً ، فلينظر .

* ج ٥ ص ٦٣ :

لو كان ينطق قال من تحت الثرى فليحسن العمل الفتى ما استطاعا

قلت : (ما اسطاعا) للضرورة ولأن ذلك جائز ، حذفت التاء لقاربتها الطاء في المخرج ، فاستُخف بحذفها كما استخف بحذف أحد اللامين في ظَلْت .

(١) البهيرة — كسفينة — السيدة الشريفة ؛ والمهيرة الحرة والجمع المهائر وهي الحرائر وهي ضد السراري (التاج) .

على هامش « حادث الشام »

نحن المذنبون ! ...

للأستاذ علي الطنطاوى

— ١ —

اهتزت الأرض لما كرثت دمشق ، وزلزلت الدنيا لما أصابها ، وانبرت أقلام بواتر تناصرها فى محنتها ، وازدلفت إليها الوفود تمسح جراحها ، وتأمن جراحها ، ولم تبق فى المشرق والمغرب صحيفة لم تتل أخبارها ، وتصف حريقها ودمارها ، وأنا فى فراشى قد ملكتنى الحمى فلم أشارك قومى فى جهاد ، ولم أبذل لهم (وطالما كنت باذلاً) قلمى هذا الضعيف ولسانى .

وكنت أطل من شباكى على دمشق (ودارى كما يعلم من يعلم من القراء تعلو عن دمشق ضاربة فى الجبل مائتى متر) فأرى مساقط القنابل ، وأشاهد مواقع القذائف ، وأبصر النار تأكل بلدى الحبيب ، والرصاص يحصد حصداً قومى ، فأحس فى أعصابى فوق الحمى حميات ، ولكنى لا أقدر على شىء .

ولم أقرأ فى هذه البرهة الطويلة مجلة ولا أبصرت (رسالة) ، ولا رأيت ممن وفد على دمشق من (الإخوان) الكرام أحداً ، ولا حضرت (وقد دعيت) لتكريمهم احتفالاً . قد قيدنى المرض بفراشى فلا أستطيع له براحا ... وهذه أول ساعة أقدر فيها على القلم ، وأتمكن من خطامه ، رأيت فرضاً علىّ فيها فرض الاعتراف والوفاء ، أن أكتب للرسالة التى أحببتها محبة العاشق ، لا أصبر على فراقها ، ولا أطيق هجرها . وأحببت صاحبها وأجللته قبل أن أراه ، فلما رأيته بعد اثنى عشر عاماً تشرفت فيها بمراسلته ، والكتب فى رسالته ، وحضرت مجلسه ، ورتعت شهرين فى جنة نبله وفضله ، وأخذت من ماله ومن أدبه ، ازددت له حباً وإجلالا . وما رأيت فى مصر أديباً ، هو أعرب عربية ، وأنقى طوية ، وأقل لمصر عصبية ، وأخلص لبلاد العرب كلها نية ، من الثلاثة الأخيار : الزيات وعزام وخلاف . وإن فى مصر لكراماً كثيرين وأدباء عرباً مخلصين ، وما شحت مصر بالرجال ولكنى أشهد بما رأيت .

* * *

جلست لأكتب فى محنة دمشق ، فرأيتها قد سارت بحديثها الركبان ، وامتلأت بها الآذان ، ومشت على كل لسان ، فكدت أدع القلم ، ثم قلت لنفسى ، لئن تأخرت اليوم فلقد كنت يوماً سباقة ، يوم هوت تحت السنابك (باريس) ، وقام كتاب (منا ...) يبكونها ، وما يبكون إلا لذات لهم فيها محرمة فقدوها ، ومفاسق خسروها ، وكنا وكان سيف فرنسا العادية مسلولا علينا ، فكتبت فى الرسالة (٣٦٨) فى ٢٢ يولية ١٩٤٠ كلمة قصيرة ولكنها كسنان الرمح لايضيره مع مضائه قصره ، صغيرة ولكنها كالقنبلة إذا تفجرت دمرت ، ولقد شرقت شظاياها وغربت فأصابت فيمن أصابت مستشار المعارف الفرنسى ، حملها إليه بعض (الأذناب ...) ممن تبدل اليوم لأن الدهر تبدل ودار . فدعانى وكان بينى وبينه كلام لو أنا نشرته خفت ألا يصدقه من لا يعرف قائله ، من القراء . لا أقول ذلك فخراً ولكن ليعلم الناس ، أنا — بنى الشام — ما ذللنا قط ولا خنعنا ، ولا أخافتنا فرنسا يوم كانت فرنسا وكان لها فى الأرض سلطان ، وبين الأعزة الأقوياء مكان !

* * *

ولئن فاتنى الكلام فى (حادث الشام) فما فاتنى أن أكتب (على هامشه) ، وإن لدىّ صوراً ، وإن فى يدى عبراً ، إذا وفق الله وواليت نشرها فى الرسالة ، اجتمع منها كتاب . ولست أعيد ما قاله الكتاب ، ولا أحب أن أعرّف المعروف . ولقد فرغ الناس من الحكم على فرنسا ومدنيتها ، وخرست ألسن كانت تسبح بحمدها ، وتمجد حضارتها ، وما تحمد منها (وآباء القراء) إلا مطارح الهوى الفاجر ، ومسارح الفن الداعر ، وجفت أقلام كانت فى أرضنا « جيشاً خامساً » وما حديث الجيش الخامس ببعيد ... فلم يبق إلا أن نسوق صوراً لا يراها إلا القريب المشاهد ، وعبراً لا يتنبه لها إلا الرقيب المفكر ، وأن ننذر قومنا يوماً أشد ، وخطباً أعم ، إذا لم يقطعوا أسبابه ، ولم يغلقوا بابه ...

وإن أول ما ينبغى أن نخرج به من هذا الذى كان أن نعلم

إن الله عادل لايصيب قوماً إذا بما قدمت أيديهم ، وإن من بديع سنه لهذه الأمة أن يبعث لها هذه الشدائد تنبهها من غفلتها كلما غفلت ، وتوقظها إذا نامت ، وإن من أسرار هذه العربية أن الابتلاء هو الامتحان ، وأن الله يمتحننا ليرى أنفوز فى الامتحان أم نكون من الخاسرين ... فتعالوا يا إخواننا نحاسب أنفسنا وننظر من أين أُتينا ؟

أما أنا فلقد فكرت فرأيت أن الذنب ذنبنا ما هو بذنب الفرنسيين ، وأنك إن عانقت الحية فلدغتك فما تلام الحية بل تكون أنت الملوم ، إن الفرنسيين قد جروا على سنتهم ، واستجابوا لطبيعتهم ، ففاض إناؤهم بالذى فيه ، وما فيه إلا الطيش والخرق والغرور والتبجح وعشر أخر من هذه الصفات ، ولقد بلوناهم ربع قرن فما رأينا من حضارتهم إلا البارود والنار وآلات القتل والدمار ، ولا أبصرنا من فنهم إلا الفسوق والعرى والاستهانة بالعرض وإضاعة الذمار ، ولا شاهدنا من قوتهم إلا العدوان على الأطفال والنساء والعجائز الكبار ، ولقد طالما تبدلت علينا الوجوه ، ولكن السنّة السنّة ، والطبع الطبع ، كل فى الحماقة سواء .

ولكنا مع ذلك والبناهم وقد نهانا الله عن موالاتهم ، وقلدناهم وقد منعنا ديننا من تقليدهم ، وتركنا بياتنا لرطاناتهم وفضائلنا لأزيائهم ، وشريعتنا لقوانينهم ، ومساجدنا لملاهيهم ، والقادسية لأوسترلتز ، وعمر لنابليون ، ومكة لباريس ؟

نحن أعطيناهم هذا السلاح الذى قاتلونا به : جاؤونا بالخمور تهرى أمعاءنا ، وتمزق أكبادنا ، فشربناها ودفعنا الثمن . وجاؤوا بالكتالوجات فيها الأزياء العارية التى تذهب فضيلتنا ، وتفسد شبابنا وبناتنا ، فعملنا بها وتركنا لها قرآننا ودفعنا الثمن . وجاؤونا بالأرتستات يخربن بيوتنا ، ويمرضن جسومنا ، ويسممن أرواحنا ، فهبطنا على أقدامهن ودفعنا الثمن ، وجاؤونا بكل بلية فيها الأذى وفيها الهلاك ، فدفعنا الثمن ، فأخذوه فجعلوا منه دبابات وطيارات ثم أتوا فقالوا هذا الجيشكم السورى . أليس جيشكم قلنا : بلى ، وهل فى ذلك شك . قالوا : هاتوا ثمنه فدفعناه مرة ثانية ، فقاتلونا بسلاح شريناه نحن ودفعنا ثمنه مرتين !

نحن أعطيناهم الجنود الذين حاربونا بهم : أبناؤنا ، قلنا لهم خذوهم وخذوا بناتنا فعلموهم فى مدارسكم ، ونشئوهم على مبادئكم ، واستعمروا عقولهم كيف شئتم ، فجعلوا من أبنائنا عدواً لنا ، يا أيها القراء فى مشارق الأرض ومغاربها اعلموا أن الذى ضرب الشام بالمدافع (بإذن أوليفا روجه وأمره) إنما هو رجل شامى ومسلم وابن شيخ واسمه (علاء الدين الإمام) !

* * *

فهل استيقظنا ؟ إذا لم توقظنا هذه المدافع المدوية ، إن لم ينبهنا لذع النار ، فما والله يوقظنا شىء ؟

هل علمتن يا آنساتى ويا سيداتى الآن ، أن هذا (الكتالوج) إنما هو (ديناميت) إن احتفظتن به فى دوركن دمر الدور وأهلها ؟ وإنكن حين تكشفن عن شىء من مواطن الفتنة فى أجسامكن إنما تكشفن للعدو قلعة من قلاع الوطن ، لأن كشفها يفسد أخلاق الشباب فتذهب رجولتهم ويفقدهم روح الكفاح ، ويشغلهم عن الحرب بالحب ؟ وأن هذا الأحمر على خدودكن وشفاهكن إنما هو دم الشهداء ، لولاه ولولا أشباهه ما تمكن العدو منا ، وما كان ليغلبنا لولا أن أضاع علينا أخلاق صحرائنا ، وشغلنا عنها بكن ، وشغلكن بهذا الأحمر عن كل واجب عليكن ؟

هل علمتم أيها الآباء أن من يضع ابنه فى مدرسة عدوه ، إنما يخون وطنه ودينه وربه ؟

وهل سمعتم أيها القراء اللعنة التى أطلقها فى الشام ، خطباء على المنابر ، وأئمة فى المحاريب ، فتجاوبت بصداها الأودية والشعاب :

ملعون كل من ينسى ما صنع بنا الفرنسيون ، ملعون كل من يحب فرنسياً أو يتزوج بعد اليوم فرنسية ، أو يشترى بضاعة فرنسية ، ملعون من يدخل ابنه أو بنته مدرسة فرنسية ، ملعون كل شركسى أكل خبزنا وحاربنا ، ملعون كل سورى أعان على بلده عدواً ، ملعون علاء الدين الإمام ، لعنة مجلجلة صارخة مستمرة متجددة ، متنقلة فى البطون ، ماشية فى الذرارى ، لعنة الأم التى فجعها الفرنسيون بوحيدها ، واليتيم الذى أفقدوه أباه ، والزوجة التى أيموها بعد زوجها ، والأسرة التى قتلوا ربها وخربوا دارها ، والتاجر الذى أحرقوا دكانه وسرقوا متاعه ، لعنة مغموسة بالدم ، مغسولة بالنار ...

(دمشق) **على الطنطاوى**

المنطق الوجداني والعقيدة

للأستاذ سيد قطب

- ٢ -

آلبداهة والبصيرة طريق الإيمان ، والمنطق الوجداني أداته في القرآن ، كما أقول أنا ؟ أم الذهن المجرد طريقه ، والمنطق الذهني أداته ، كما يقول الأستاذ عبد المنعم خلاف ؟

أحب قبل أن أمضى في البحث أن أقرر : أنه لا يجوز أن يجرفنا الجدل إلى تقسيمات جدلية حاسمة لطرق الإيمان وأدواته في النفس البشرية ؛ فإننا لن نجد حالة نفسية واحدة تتم بهذه السذاجة في التقسيم . وأبسط الحالات النفسية الساذجة معقد كل التعقيد ، ولا بد فيه من شتى الاحتمالات

وليست المسألة بيني وبين الأستاذ عبد المنعم قضية جدلية على طريقة المناظرات ؛ إنما هي حقيقة نود تجليتها . وإنه ليسرني من غير شك أن ألتقي بالصديق في الطريق

لذلك أحب — قبل كل تعليق — أن أستعرض ما قلته أنا في كتابي « التصوير الفني في القرآن » عن المنطق الوجداني ؛ وما قاله الأستاذ عبد المنعم في مقاله الأخير عن « المنطق الذهني » ، فمن يدري ، فلعلنا متفقان في جوهر الموضوع ولبه ، وإن اختلفنا في التعليل وتقرير المصطلحات ؛ وإن يكن يبدو لي أن الخلاف في أساسه خلاف طبيعتين وطريقتين في الإحساس !

* * *

استغرق فصل « المنطق الوجداني » من كتابي عشر صفحات ، ووردت فيه هذه الفقرات في مواضع متفرقة :

١ — « لقد جاء القرآن لينشئ عقيدة ضخمة — عقيدة التوحيد — بين قوم يشركون بالله آلهة أخرى ، ويكون من العجب العاجب عندهم أن يقول لهم قائل : إن الله واحد : « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عجاب ! وانطلق الملأ منهم : أن امشوا واصبروا على آلهتكم ، إن هذا لشيء يراد ، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ، إن هذا إلا اختلاق ! »

٢ — « كانت وظيفة القرآن إذن أن ينشئ هذه العقيدة الخالصة المجردة . وموطن العقيدة الخالد هو الضمير والوجدان — موطن كل عقيدة لا العقيدة الدينية وحدها — وأقرب الطرق إلى الضمير هو البداهة ، وأقرب الطرق إلى الوجدان هو الحس . وما الذهن في هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة ؛ وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها طريقاً .

« وبعض الناس يكبرون من قيمة هذا الذهن في هذه الأيام ، بعدما فتن الناس بآثار الذهن في المخترعات والمصنوعات والكشوف ، وبعض البسطاء من أهل الدين تبهره هذه الفتنة فيؤمن بها ، ويحاول أن يدعم الدين بتطبيق نظرياته على قواعد المنطق الذهني ، أو التجريب العلمي !

« إن هؤلاء — في اعتقادي — يرفعون الذهن إلى آفاق غير آفاقه . فالذهن الإنساني خليق بأن يدع للمجهول حصته ، وأن يحسب له حسابه . لا يدعو إلى هذا مجرد القداسة الدينية . ولكن يدعو إليه اتساع الآفاق النفسية ، وتفتح منافذ المعرفة . « فالمعقول » في عالم الذهن ، أو « المحسوس » في تجارب العلم ، ليس هو كل « المعروف » في عالم النفس . وما الفكر الإنساني — لا الذهن وحده — إلا كوة واحدة من كوى النفس الكثيرة ؛ ولن يغلق إنسان على نفسه هذه المنافذ ، إلا وفي نفسه ضيق ، وفي قواه انحسار ، لا يصلح بهما للحكم في هذه الشؤون الكبار .

« فلندع الذهن يدبر أمر الحياة اليومية الواقعة ، أو يتناول من المسائل ما هو بسبب من هذه الحياة . فأما العقيدة ، فهي في برجها العالي هناك ، لا يرقى إليه إلا من يسلك سبيل البداهة ، ويهتدي بهدى البصيرة ، ويفتح حسه وقلبه لتلقي الأصداء والأضواء .

« ولقد آمن بالبداهة والبصيرة — وما زال يؤمن — العدد الأكبر من المؤمنين بكل دين وعقيدة في الوجود ؛ ولقد ظل علماء الكلام في الإسلام قروناً كثيرة ، يبدئون ويعيدون في الجدل الذهني حول مباحث التوحيد ، فلم يبلغوا بذلك شيئاً مما بلغه المنطق القرآني في بضع سنين » ...

٣ — « لقد عمد القرآن دائماً إلى لمس البداهة ، وإيقاظ

الإحساس ، لينفذ منهما مباشرة إلى البصيرة ، ويتخطاها إلى الوجدان . وكانت مادته هى المشاهد المحسوسة ، والحوادث المنظورة ؛ أو المشاهد المشخّصة والمصائر المصوّرة . كما كانت مادته هى الحقائق البديهية الخالدة ، التى تتفتح لها البصيرة المستنيرة ، وتدركها الفطرة المستقيمة »

٤ — « كانت المشكلة الأولى التى واجهها الإسلام — كما قلنا — هى مشكلة التوحيد مع جماعة تنكر هذا التوحيد أشد الإنكار ، وتعده إحدى الأعاجيب الكبار . فلننظر كيف حاجّهم فى هذه القضية المعقدة :

« لقد تناولها ببساطة ويسر ، وخاطب البداهة والبصيرة ، بلا تعقيد كلامى ولا جدل ذهنى : (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يُنشِرون ؛ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا . فسبحان الله رب العرش عما يصِفُون ؛ لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون . أم اتخذوا من دونه آلهة ؟ قل : هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى . بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون)

أو : (ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه إله . إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض)

« هكذا فى بساطة البداهة التى لا ترى فى السموات والأرض فسادا ، إنما ترى نظاماً محكما ، لا يكون إلا حين يكون المدبر واحداً قادراً عالماً حكيما .

« وهذه الصورة التى يخيلها — لو كان هناك آلهة — « إذن لذهب كل إله بما خلق » وإنها لصورة مضحكة : أن ينحاز كل فريق من المخلوقات إلى إله ، وأن يأخذ كل إله مخلوقاته ويذهب . إلى أين ؟ لا ندرى ! ولكننا نتخيل هذه الصورة فنضحك من فكرة تعدد الآلهة إذا كانت نتيجتها هى هذه النتيجة ! »

وهكذا وهكذا إلى آخر ما ضرب من الأمثلة ، على سائر ما واجه الإسلام من مشاكل العقيدة ، وطريقته فى مواجهتها ...

***

أما الأستاذ عبد المنعم فيناقش المسألة على النحو التالى ، الذى تثبته فقرات من مقاله نقلها هنا :

١ — « كل ما فى القرآن من « منطق » الوجدان فى إثبات عقيدة التوحيد أنه ساق القضايا العقلية بتعبير جميل أخاذ حرك به الوجدان والمشاعر مع تحريك الذهن والحكم لصلب كل قضية ، ولم يسقها بأسلوب جاف كأسلوب المناطقة الرياضيين الذى تتزاحم فيه المعانى فى ألفاظ ضيقة . وأى كلام اعتمد على « الحقائق البديهية الخالدة » وعلى مقدمات ونتائج صحيحة ، سواء أكانت محسوسة ومنظورة أم غير محسوسة ومنظورة ، فهو منطق ذهنى . فإذا جمع إلى صحة المقدمات والنتائج جمال التعبير وروعة الأسلوب وإشراق الطلعة فهو منطق « وجدانى » كذلك . منطق الوجدان — وإطلاق « المنطق » هنا تجوز فى التعبير — هو الذى يتأثر بالخطابيات والشعر والموسيقى وغير أولئك من ألوان الفن التى لا تعتمد على الحقائق الثابتة ، « ونقط الارتكاز الواضحة فى عالم البداهة و « الحكم العقلى » . والتأثر بهذا المنطق تأثر وقتى لا يترك رواسب فى الذهن ، ومقاييس تملأ اليد ، يستطيع الفكر أن يتحاكم إليها ، ولأنها ألوان وظلال ونغمات وأعراض غير ملازمة تنفعل لها النفس انفعال الانقباض أو الانبساط وقتا ، ثم يزول تسلطها عليها .

« وليست هذه الأعراض هى طريق إقرار « العقائد » ودعائم الفكر والحياة عند الراصدين المتيقظين الواعين . وخصوصاً الدعامة الأولى ، والقضية الكبرى ، قضية « التوحيد » التى هى قضية الكون كله وأعظم شئونه ! إن الوجدانيات من الخطابيات والشعر والموسيقى وسائل إقناع وقتى للبسطاء ، وليست وسائل يقين ثابت للذين يبحثون لعقولهم عن عواصم تستند إليها من طوفان الأهواء والنوازغ والوجدانات المتقلبة ... وما كان للقرآن وهو يتصدى لإثبات القضية الكبرى أن يعتمد على « المنطق » الوجدانى . وإنى أرى الذهن فى إثبات العقائد وخصوصاً « التوحيد » ، هو أوسع المنافذ وأصدقها وأدقها »

٢ — « قلنا إن مسألة المسائل التى دار عليها أكثر جدل القرآن هى عقيدة التوحيد . وأنسب الآيات التى تناولت هذا الموضوع هى آيات سورة الأنبياء ، وقد ساقها المؤلف كدليل على ما ذهب إليه ، فلنقرأها معاً (وذكر نص الآيات المذكورة هنا فى هذا المقال) ثم قال :

« فهل ترى هذه الآيات تركت حجة « ذهنية » يمكن إيرادها للكر على مزاعم القوم ثم لم تفعل ؟ « أم اتخذوا آلهة

من الأرض هم ينشرون » فالإله هو وحده الذى يخلق ويحيى وينشر الخلائق من الأرض ، فهذا مقطع من مقاطع الاستدلال بكلمة واحدة يدور بهما الذهن فى استعراض سريع للأرض وكائناتها للبحث عن حى مخلوق واحد لغير الله فلا يجد . وإنه للدليل الاستقرائى بعينه ! ذلك الذى بنى عليه (بيكون) الفلسفة الاستقرائية الحديثة . وإنه للدليل المفضل عند المربين وعلماء النفس»

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ، وهذا مقطع آخر من مقاطع الاستدلال فى كلمة واحدة أيضاً ... وإنه للدليل التطبيقى بعينه ! أحد ضروب الأدلة الكبرى ، يطبق فيه العقل فى ظروفه المتسعة ، ما يدركه من لوازم تعدد الرياسات وفساد الأمور إذا تولتها أيد متعددة سيكون بينها بالطبع ما يكون بين المتعددين ، ولايمتنع خلافهم وتحاسدهم أنهم آلهة فى طباع مختلفة عن الآدميين . فإن التصور البشرى لايستطيع أن يجرد الآلهة من صفات الناس لأنه لا يملك غير منطقه فهو معذور ! »

« فسبحان الله رب العرش عما يصفون » ! ذلك موقف وجدانى فيه انفعال وتقزز من تلك الدعوى ، وتنزيه لله عما وراءها من أزمات ومحرجات . وهو موقف معترض للاسراع بالتنزيه تعود الآيات بعده إلى الاستدلال : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » وهذا مقطع آخر فيه ضرب عظيم من ضروب الاستدلال هو الدليل العملى الواقعى ، وهو كذلك أحد ضروب الأدلة الكبرى ، وله فى الفلسفة العصرية المقام الأول ، إذ به تسير الحياة العملية ، وهو محور الاجتماع.».

« فما دام الواقع أن جميع الآلهة المزعومة مَلَكَ الناسُ أن يواجهوها بالمسئولية والمحاكمة ، فلا يصح أن تكون آلهة مادامت تقع عليها الدينونة ... ولكن الذى خلق السموات والأرض ، لا يملك عابد له أن يرفع عينه إليه بمسئولية ، بل ليس له إلا التسليم والإذعان ما دام عاجزاً عن الهرب من أقطار السموات والأرض »

« أم اتخذوا من دونه آلهة ... قل هاتوا برهانكم ! » ...

« هذا ذكر من معى وذكر من قبلى » وهذا مقطع عظيم أيضاً من مقاطع الاستدلال هو ما يسمونه « الدليل التاريخى » إذ أن التاريخ لم يثبت حياة رسول جاء قومه بغير الوحدانية ... إذا فقد سد القرآن مجالات القول والاستدلال أمام المشركين حتى أثبت أنهم لا يستندون فى دعواهم إلى أى حق ، وإنما إلى التكبر والجهل والإعراض . وكان هذا الختام « بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » نتيجة منطقية ذهنية واضحة لمقدمات واضحة أخذت بضروب الأدلة جميعاً ولم تترك مفراً لجدل مجادل »

* * *

١ — وبعد : فلا بد أن يكون القارئ قد لا حظ اختلافاً فى تعريف « المنطق الوجدانى » حسبما بسطته وعنيته ، والتعريف الذى يضعه له الأستاذ عبد المنعم ليبنى عليه اعتراضاته . ولا شك أننى غير ملزم بتعريف الأستاذ ، فأنا لم أترك الاصطلاح الذى وضعته بلا شرح معيّن ، وعلى هذا الأساس يجب أن تدور المناقشة .

فهو يعرفه بأنه « الذى يتأثر بالخطابيات والشعر والموسيقى وغير أولئك من ألوان الفن التى لا تعتمد على الحقائق الثابتة ونقط الارتكاز الواضحة فى عالم البداهة والحكم العقلى » .

بينما أنا قد أسلفت أنه يعتمد — فيما يعتمد عليه — على الحقائق البديهية الخالدة ، التى تتفتح لها البصيرة المستنيرة وتدركها الفطرة المستقيمة . كما كررت أنه يلمس البداهة ويوقظ الحس ، ليتصل منهما بالضمير وبالوجدان .

فالأستاذ عبد المنعم رتب مثاليه كلها للمنطق الوجدانى على أساس صورة خاصة فى تعريفه لهذا المنطق غير التى عنيتها بوضوح . ولست أنا المسئول طبعاً عن ترتيب الأمور على هذا النحو الذى يبدو واضحاً عند الموازنة بين ما قلت هنا وما قال !

على أننى أحب أن أقول له هنا : إن الشعر والموسيقى والفنون ليست خواء كلها من الحقائق الخالدة — كما يصورها — ولوخلت من هذه الحقائق ما عاشت وما حسبت فناً صادقاً ، فنحن فى حاجة إلى أن نوسع آفاقنا عند النظر للفن الصادق ، فنجده يلتقى فى النفس بينابيع العقيدة على نحو من الأنحاء ، وإلا كان فناً مزيفاً لا يعيش ، وزخرفاً ظاهراً تزيفه الحياة

٢ — وأما الاستدلال المنطقى كما أورده فى الآيات ، فأحب أن أقول عنه : إن القرآن كان أعرف بالنفس البشرية من الأستاذ عبد المنعم ، فلم يسق الأدلة كما ساقها هو ، وإلا لكانت متهافتة من وجهة المنطق الذهنى نفسه . فهى فى سياق القرآن شىء يتصل

بالفطرة على استقامتها ، فترفض الأوجه المنطقية الزائفة ، وتؤمن بالوجه الواحد الصحيح منها إيمان اقتناع وتسليم ، وهى فى سياق الأستاذ عبد المنعم محاولات ذهنية لا تستقيم على الجدل كما يأتى :

(ا) يقول الأستاذ عن مقطع الآية الأول : « فالإله الواحد هو وحده الذى يخلق ويحيى وينشر الخلائق من الأرض . الخ » أفلا يسلم أن قضية البعث كانت من القضايا الكبرى التى تولى القرآن إثباتها لهؤلاء القوم . فكيف يجعل منها دليلا على وحدانية الله هنا — ولو كان منطق الذهن الجدلى هو المحكَّم — بينما هى نفسها موضع جدل طويل، وليست لإحداها سابقة على الأخرى بل هما مظهران لقضية واحدة تثبت بطرفيها ، أوتتهافت بطرفيها.

(ب) ويقول عن فساد الأرض لو تعدد الآلهة : « فإن التصور البشرى لا يستطيع أن يجرد الآلهة من صفات الناس لأنه لا يملك غير منطقه هو فهو معذور » ... أفلا يعلم أن القرآن ذاته قد كلف التصور البشرى أن يؤمن بأن الله « ليس كمثله شىء » ! فكيف كان يكلفه هذا لو لم يكن فى طاقة الإنسان أن يتصوره بوسيلة من الوسائل ، وإنه ليؤمن بهذا لا عن طريق المنطق الذهنى ، ولكن بالبداهة ، وبالصلة الخفية بين الإنسان المحدود والإله غير المحدود . تلك الصلة التى يعتمد القرآن على إيقاظها فى الحس كالومض السريع فيؤمن المؤمن ويستريح ! ولو عهد بها إلى الذهن لما استطاع تصورها كما يعترف الأستاذ عبد المنعم .

(حـ) وعن مسئولية الآلهة . أفلا يرى الأستاذ أن كلامه لا يثبت شيئاً ولا ينفيه ، فمسئولية الآلهة أمام عبادها هى مسئولية نظرية من جانب واحد ، لا تحفل بها الآلهة ولا تجيب سائليها . وكثير من الناس يحاكم الله مثلها — والله تعالى عنها — ولم يذكرها القرآن للجدل هنا . ولكن ذكرها للتقرير والتأثير الوجدانى بهذا التقرير .

(د) ثم الدليل التاريخى كما يراه فى « هذا ذكر من معى وذكر من قبلى » فلو سرنا فى الاستدلال على طريقة الأستاذ عبد المنعم لقلنا : إن هؤلاء القوم لم يؤمنوا لا بهذا الذكر ولا بذكر من قبله . فكيف يحاسبون بما لم يؤمنوا به ، وهو نفسه موضع الجدل ؟

***

إن القرآن ياسيدى لم يرد الأمر على النحو الذى تريد ... وإنه لأفطن للنفس البشرية وأعرف بدروبها ومسالكها ، وإنه ليأتى هذه النفس من منافذها الواسعة جميعاً ، لا من كوة الذهن المحدود وحدها هذا ، الذهن الذى يعجز عن تصور صفات الإله لو عهد بها إليه ! وإن فى كل نفس بشرية — ما لم تفسد فطرتها — لمنافذ ومسارب تصلها بالحقيقة الأزلية الكبرى ، والأديان وحدها هى التى تلتفت لهذه المنافذ والمسارب جميعاً ، فتصل الناس بالخالق فى يسر جميل ، معتمدة على البداهة والبصيرة والحس والوجدان وسائر القوى الإنسانية ومن بينها الذهن الذى هو إحدى هذه القوى وبعدها جميعا فلا نكبر من قيمة هذا الذهن المحدود ، ولا نتجاوز به الحدود ... والسلام :

سيد قطب

الأذان في الإسلام

للدكتور جواد علي

تتطلب بعض الأديان من المرء الحضور إلى المعبد لتأدية فريضة الصلاة مع إخوانه المؤمنين؛ والصلاة في هذه الحالة « صلاة جماعة ». وإلا لن تتقبل له صلاة . ولم تشترط الديانة اليهودية هذا الشرط في أداء صلاة « التفيلة » . واليهودى مخيّر بين أداء هذه الصلاة في بيته أو في حديقته أوفي العراء أوفي أى مكان آخر، وبين أدائها جماعة في « الكنيس »(١) مع إخوانه وأبناء دينه(٢) . على أن من المستحب في الديانة اليهودية حضور المؤمن صلاة الجماعة لما في ذلك من ثواب عظيم وأجر عند الله كبير(٣) .

وقد حثت البركة الثامنة من البركات الثماني عشرة(٤) المؤمنين من الإسرائيليين على حضور صلاة الجماعة في الكنيس « توراة » « Thora » جاء « من قرأ التوراة وقام بالأعمال الحسنة المحبوبة ، ومن أدى الصلاة جماعة اعتبره الله في جملة عبيده وخدمه وفي جملة أولئك الذين يساعدون أبناءه في الخلاص من أيدى أبناء الشعوب الأخرى »(٥) وجاء في الحديث المأثور « من أحجم عن زيارة كنيس مدينته عدّ جار سوء لهذا الكنيس »(٦) .

أما في الإسلام فالمسلم مخير بين أداء صلاته جماعة وبين أدائها منفرداً في أى مكان شاء . وقد راعت من هذه الناحية الحكمة العملية التي تتطلب التساهل في هذا الباب . ولكنها حثت من جهة أخرى على صلاة الجماعة ورغبت المسلمين في ثوابها وفي التسابق إليها(٧)

(١) الكنيس ومعناها المجمع أو المجلس وهو المحل الذى كان يجتمع فيه اليهود لدراسة الكتاب المقدس والقيام بواجب العبادة بعد خراب المعبد على يد الامبراطور الرومانى « تيتوس » فصار اليهود يجتمعون في محل واحد في المدن الكبرى . « مدراش » .

(٢) راجع mittwoch. P, 21 . راجع دائرة المعارف اليهودية في مادة « Prayer » .

(٣) mittwoch. P, 21 .

(٤) بركوت شموتة عشرة : mixhnà Beràkhòth .

(٥) mittwoch. P, 21 Beràkhàth. 8 a .

(٦) راجع wittwoch. P , 21 Beràkhoth. 8 a .

(٧) راجع كنز العمال جـ ٤ صـ ١١٨ نمرة ٣ ٤ ٥ ٢ ٤ mittwoch .2P,2 .

واعتبرها الفقهاء « فرض كفاية »(١) و « فرض الكفاية » غير « فرض الوجوب أو العين » طبعاً

ولا تقام صلاة الجماعة عند اليهود إلا بشروط ، ومن جملة هذه الشروط هو « العدد القانونى » أو « نصاب الجماعة » ، ولا يتم « نصاب صلاة الجماعة » إلا بحضور عشرة رجال بالغين ، وهذا هو الحد الأدنى ، ومتى كمل هذا العدد جاز أداء الصلاة جماعة(٢) . ولم يشترط المسلمون في صلاة الجماعة أى شرط من هذا القبيل فما زاد على الواحد عدّ جماعة وجازت لذلك صلاة الجماعة إلا في صلاة الجمعة إذ جعل العدد أربعين فما فوق وهى صلاة جماعة طبعاً (٣) .

ويحتاج المصلون في صلاة الجماعة إلى إمام يؤم المؤمنين في الصلاة . ويطلق المسلمون عليه كلمة « إمام » أو « إمام الجماعة » ويطلق اليهود عليه لفظة « شليح صبور » أو « حزان » ومعنى الكلمتين « المندوب عن الجماعة »(٤) . وليست الإمامة في الصلاة عند اليهود وظيفة دينية رسمية في الأصل ؛ إذ يستطيع أى مصل من المصلين إمامة إخوانه في الصلاة إذا كانت له المؤهلات الكافية والصفات التي يجب أن تتوفر في الزهاد والمؤمنين(٥) . ثم خصصت الإمامة « شليح صبور » (حزان) في أشخاص معينين يمارسون هذه المهمة ويقومون بتنفيذ طقوس الصلاة . وهذا التخصيص هو من قبيل العرف والعادة فقط إذ لا يتيسر في الغالب لجميع المؤمنين معرفة قواعد الديانة ولاسيما بعد القضاء على المملكة اليهودية وبعد تشتت شمل اليهود وتكلمهم بلغات جديدة هى لغات البلاد التي رحلوا إليها وإغفالهم أمر اللغة العبرية حتى غدت لغة غريبة بالنسبة لأكثر العبرانيين الذين ارتحلوا إلى البلاد الأجنبية فاحتاج اليهود بحكم الضرورة لا بحكم الدين إلى « إمام » يحسن اللغة العبرية القومية ويحفظ القطع المقدسة التي تتلى في الصلاة وأصبح هؤلاء الذين لم ينسوا لغتهم وأمور دينهم بمرور الزمن أئمة ورجال دين .

(١) راجع الكتب الفقهية . أيضا Juynboll. P 81 mittwoch. P, 21

(٢) mittwoch. P, 21 . راجع تاريخ اليهود في فصل School and Synagogue. Vol. 2 P. 44 .

(٣) راجع الكتب الفقهية في بحث الصلاة . أيضا mittwoch. P, 21

(٤) راجع mittwoch. P. 22 أيضا كرائتس: تاريخ اليهود في فصل School and Synagogue. Vol P, 44 وفي The Priesthood P, 3, 7

(٥) mittwoch. P, 22

وهذا هو عين ما حدث فى الإسلام . فالديانة الإسلامية لم تعين مبدئياً طبقة خاصة لتقوم بواجب « الإمامة » فى الصلاة . ولم تعترف بطبقة « كهنوتية » تحتكر لنفسها تعليم الدين وإقامة شعائره من دون سائر الناس . ولا إمامة الناس فى الصلاة دون سائر المؤمنين المصلين . وقد كان النبى (ص) نفسه يأتم بغيره كما كان الصحابة يأتم بعضهم ببعض . نعم قد كان الرسول ينص على صحابى معين بإمامة الناس فى الصلاة ؛ ولكن ذلك لا يعنى حصر الإمامة فيه ما دام حيًّا بل كان ذلك فى ظروف خاصة وأحوال معينة . جاء عن مالك بن الحويرث أنه قال : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى نفر من قومى فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رحيما رفيقاً ؛ فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا ؛ فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم »[1] .

وحدث مثل ذلك من الخلفاء الراشدين : كانوا يعينون رجلا بعينه مع الأمير أو القائد لإقامة الصلاة . أو كانوا ينصون على الأمير نصاً بإمامة الناس فى الصلاة . غير أن ذلك لا يعنى كما قلنا آنفاً أن الإمامة مرتبة من المراتب الدينية أو وظيفة معينة لا يتقلدها إلا بعض الأشخاص من ذوى الرتب والدرجات الروحية . وإذا كانت الإمامة فى المساجد اليوم تعيينا — فى بعض البلاد الإسلامية فإن ذلك لا يعنى شرعاً أن الإمامة فى المساجد لا تكون إلا لهؤلاء الأئمة فقط ، بل من الجائز لأى شخص آخر ولو كان من غير رجال الدين أن يؤم المسلمين فى نفس ذلك المسجد . وتعيين هؤلاء الأئمة ليس إلا ضماناً لإمامة المصلين فى الصلاة حين خلو المسجد ممن يحسن قواعد الصلاة وأمورها كما يجب وفق أحكام الشرع .

* * *

ولتسهيل تعيين مواقيت الصلاة ولدعوة الناس إلى عبادة ربهم فى الأوقات الخاصة اتخذت الأديان طرقا مختلفة للدعوة إلى الصلاة . من هذه دق الناقوس أو التبويق أو إشعال النار إلى آخر ما هنالك من علامات . وقد شعر المسلمون بهذه الحاجة حينما تكاثر عددهم وتزايد جمعهم حتى شمل أكثر أهل المدينة . وشعر النبى (ص) نفسه بهذه الحاجة ، وتشاور مع أصحابه فى المسألة فقيل له « انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رآها الناس آذن . فلم يعجبه ذلك ؛ فذكر له بوق اليهود ويقال له الشبور أو القُبع وهو القرن الذى يدعون به لصلاتهم ؛ فقال هو من أمر اليهود . فذكر له الناقوس الذى يدعو به النصارى لصلاتهم فقال هو من أمر النصارى . فقالوا لو دفعنا نارا فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة ، فقال ذلك للمجوس »[1] .

(1) راجع التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح . جـ ١ ص ٥٥ .

وجاء فى الأخبار أيضاً أن الرسول (ص) قال : « أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة ؛ ففعلوا ذلك »[2] وكان اللفظ الذى ينادى به بلال قبل رؤيا عبد الله : « الصلاة جامعة »[3] وجاء أيضاً : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة . فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحرث بن الخزرج النداء ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله إنه طاف بى هذه الليلة طائف : مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً فى يده ؛ فقلت له يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ قال وما تصنع به ؟ قلت ندعو به إلى الصلاة . قال أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت وما هو ؟ قال تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حىّ على الصلاة ، حىّ على الصلاة ، حىّ على الفلاح ، حىّ على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنها لرؤيا حق إن شاء الله . فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى صوتا منك . فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله وهو يجر رداءه وهو يقول : يا نبى الله ! والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى . فقال رسول الله فلله الحمد على ذلك »[4] .

تلك هى قصة الأذان فى الإسلام . وهى قصة تناقض رأى من قال من المستشرقين بأن الأذان فى الإسلام إنما هو ترديد لأذان اليهود أو لأذان النصارى وهو دق الناقوس[5] .

أما فى مكة وقبل الهجرة فلم تكن هنالك ضرورة للأذان ، لأن الحكم كان للوثنية ، ولأن الجماعة الإسلامية لم تكن سوى أقلية لا قبل لها بالتظاهر أمام الوثنيين . فلما استقر النبى (ص) فى المدينة وتكاثر عدد المسلمين أصبح الأذان ضرورة لا بد منها ، ولم تعد

(١) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٤٨٢ .

(٢) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح . للحسين بن المبارك الزبيدى جـ ١ ص ٥٤ .

(٣) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٤٧٢ .

(٤) سيرة ابن هشام جـ١ صـ٣٠٦ فى باب خبر الأذان — السيرة الحلبية جـ ١ صـ ٤٨٠ . الطبقات جـ ١ ص ١٦٠ .

(٥) mittwoch. P, 22

كلمة « الصلاة جامعة » تكفى لأداء وظيفة إسماع الناس فى أقاصى المدينة وكل المسلمين شوق لأداء الفرائض مع النبى (ص) فصار بلال يدعو إخوانه من عل إلى الصلاة بالشكل المعروف . واقتصرت كلمة «الصلاة جامعة» على صلاة العيدين حتى ينادى بها إلى اليوم(١)

وكانت هنالك كلمة أخرى بسيطة يرددها المسلمون قبل معرفتهم الأذان ؛ والظاهر أنها كانت أبسط شكل من أشكال الأذان هى «الصلاة . الصلاة»(٢) ولعلها أقدم عهداً من كلمة «الصلاة جامعة» وهذا الشكل البسيط من الدعوة إلى الصلاة كان يردده الخلفاء أنفسهم حين مجيئهم إلى المسجد صباحا على الأخص لتنبيه النائمين . وطالما قرأنا فى كتب التاريخ كلمة « الصلاة . الصلاة يرحمكم الله » لتنبيه الغافلين إلى الصلاة ولا زالت مستعملة إلى الآن فى صلاة الصبح جماعة على الأخص .

ويتألف الأذان الذى أقره الرسول (ص) من سبع فقرات، السادسة منها تكرار للأولى . وتردد العبارة الأولى أربع مرات متتاليات ، والمالكية ترددها مرتين ، كما تردد كل عبادة من العبادات الأخرى مرتين ما عدا العبادات الأخيرة فينادى بها مرة واحدة فقط . وبعد أن يؤذن بالعبارتين الثانية والثالثة مرتين يرفع الصوت بها عند المرة الثالثة . وقد أوصى بهذا الترجيع الشرع . أما الحنفية فترفضه . ويضاف إلى أذان الصبح عبارة « الصلاة خير من النوم » عند أهل السنة ، وتردد مرتين « تثويب » بين العبارة الخامسة والسادسة(٣) .

ويتفق المسلمون جميعاً على صيغة الأذان ؛ وهذا يدل على أنه كان على هذه الصورة منذ عهد الرسول . غير أن هنالك خلافاً بسيطاً بين أهل السنة وبين الشيعة فى عبارة « أشهد أن علياً ولى الله »(٤) التى تردد مرتين بين الفقرتين الثالثة والرابعة ؛ وفى عبارة « حى على خير العمل » التى تردد مرتين بين الفقرتين الخامسة والسادسة(٥) .

---

(١) mittwoch. P, 26 الام . ص ٢٠٨ ويرد أيضاً إلى الصلاة . أو هلم للصلاة .

(٢) كنز العمال ج ٤ ص ٢٦٥ (نمرة ٦٩ : ٥) . mittwoch. P, 25

(٣) راجع دائرة المعارف الاسلامية . الترجمة العربية ج ١ ص ٥٦١ فى مادة الأذان .

(٤) راجع الكتب الفقهية الشيعية مثل شرح اللمعة ومن لا يحضره الفقيه .

(٥) Snuk Hergronie mekka. Vol. 1 P, 63 De Sacy Grest . Arab Vol 1 P. 160 — 169

ويعاد الأذان فى داخل المسجد بصورة مختصرة إذ تذكر عبارات الأذان مرة واحدة قبل المباشرة بالصلاة ، ويطلق على هذا الأذان كلمة « إقامة »(١) .

فالأذان كما رأيت ضرورة من الضرورات التى اقتضتها الظروف الاجتماعية والسياسية التى نشأت فى المدينة . ويقول المستشرق بيكر « Beckar » : « الأذان فى الإسلام لا يمثل فكرة الدعوة إلى الصلاة ، أو بتعبير آخر : الاذان تماماً لأن عناصر الدعوة إلى الصلاة فيه قليلة أو تكاد تكون معدومة ؛ فهى لا تتمثل فيه تمام التمثيل(٢) . وليس الأذان على رأيه إلا قطعة من القطع الكنائسية التى يرددها الكاهن والشماس حيث الترجيع الدينى بين الاثنين . يقوم الإمام فى الإسلام مقام الكاهن ؛ أما المؤذن فيؤدى واجبات الشماس(٣) .

وهذه النظرية خاطئة طبعاً ؛ فالأذان وإن كان يعيده الإمام إقامة . فإن المصلين يعيدونه أيضا . ولا وجه للشبه أبداً بين الترجيع الدينى فى الكنائس وبين الأذان عند المسلمين(٤) .

وذهب المستشرق اليهودى ميتوخ إلى أن الأذان فى الإسلام مأخوذ من الأذان عند اليهود . وحجته فى ذلك هو دعوة المؤذن « اللاويين » إلى الصلاة وعادة النفخ فى الصور (البوق) . تلك العادة التى لا زال اليهود يمارسونها حتى اليوم فى طقوسهم الدينية فى نهاية السنة ، والتى كانوا يمارسونها سابقاً فى عهد الهيكل لإعلان أوقات الأضحية ، وفى أيام الجمع قبيل قدوم المساء لإعلان قدوم السبت إلى الجمهور . وفى عهد التلمود المتأخر(٥) .

أما حجته فى أن اليهود يدعون طبقة اللاويين إلى أخذ محلاتهم قبل البدء فى الصلاة وتلك الدعوة هى علامة الأذان أو الأذان بعينه ، فإن تلك الدعوة هى دعوة خاصة فى داخل « الكنيس » بينما الأذان دعوة عامة لجميع المصلين السامعين . وعبارات الأذان الإسلامى تختلف كل الاختلاف عن عبارات دعوة اللاويين . وإليك هذه الدعوة : أيها الكهنة استعدوا لأعمالكم . أيها

---

(١) mittwoch. P, 26

(٢) Becker Kultus. P, 387 wittwocp. P, 23

(٣) نفس المصدر .

(٤) mittwoch. P, 23 f. .

(٥) mischna Sukkà. 5, 5 m ttwocp 23.

سيبـــــاى الـكافلى

آخر نائب للمملكة المصرية بالشام

الأستاذ أحمد رمزى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

كان سيباى من تلك الزمرة الممتازة من الرجال الذين تملأ قلوبهم الدوافع النفسية للعمل والحركة ولا ترضى بغير المعالى والقيادة والسيادة، وكان شجاعاً إلى أقصى حدود الشجاعة لا ترهبه الأخطار، وصريحاً إلى أقصى حدود الصراحة لا يبالى بما تأتى به صراحته من خير أو شر، ما دام فى ذلك إرضاء لنفسه. فكان لا يلين إذا قام عالم من الناس يحاربه أو يؤذيه أو يحط من قدره. ولايهمه إذا وجد نفسه وحده، يدافع ويناضل عما يقول مادام الحق فى جانبه.

وبهذا وحده يمكن تفسير مواقفه مع الغورى ورسائله إليه وصراحته؛ فلولا قوة أخلاقه وجرأنه لأظهرليناً وسياسة وكياسة ولانطوى انطواء الغزالى وخير بك وغيرهما وترك العاصفة تمروا كتفى بفتات الموائد؛ ولـكنه كان قوة والقوة تنتصر ولا تلين.

ولم يكن ينقصه شيء من الذكاء والنجابة ليحل المكانة الأولى بين رجال الدولة المصرية. ولوقدر لها وعاشت لـكان لبطلنا شأن فيها ولذكر اسمه فى التاريخ بين الخالدين من رجالنا.

ولم تحرمه الدنيا فى السنين التى قضاها فيها من شيء، فقد أوتى من الهيبة والقوة والنفوذ والاحترام والعلم الشيء الـكثير، كما ابتلته الأيام فلم يسلم من كيد الناس ودسهم ولا من نكد الدنيا ومقارعة الزمن وكان فى كلتا الحالتين صبوراً:

وقد أجمع المؤرخون على أنه رجل يعد برجال.

* * *

أصل سيباى من رجال قايتباى وأعتقه وجعله من أمراء جند مصر، ثم أخـذ يرقى إلى أن تولى وظيفة كافل الممالك الحلبية وهى بدرجة أمير ألف، وذلك فى عهد الغورى. وكان الآتابكى قيت[1] الرحبى يوم بويع الغورى بالسلطان أميرسلاح، وهوالذى تقدم ومعه الأمير مصرباى وأخذا بيد السلطان بالبيعة وناديا باسمه وهو يمتنع، فبايعه الأمراء والقضاة وغيرهم[2] — فحدثته نفسه بعد حين أن يتسلطن، وكتب إلى نواب مصر بالشام، وإلى سيباى بحلب، فاشتبك الأخير مع نائب القلعة وحاصره وقاتله فاحترقت بسبب الحصار المدرسة الظاهرية الشهيرة بالسلطانية وقتئذ، فنذرسيباى أن يبنى مدرسة مثلها. وقدر بوعده وبنى جامعه الذى زرناه. فى إبان هذه الفتنة تغير قلب الغورى من جهة سيباى فعزله ثم عاد فضمه إليه وأنعم عليه بأمرة السلاح بالقاهرة.

وفى شوال ٩١١ عين سيباى ثانياً بالشام، وكان الغورى فى نفسه أشياء منه؛ فهو يعلم بأنه بطل من أبطال الحروب لا يخطر الموت على باله، علاوة على أنه من أشجع فرسان مصر وأنجبهم

(١) كان قيت الرحبي فى حملة الأمير أزبك الأتابكى ضد العثمانيين سنة ٨٩١ هجرية فى عهد قايتباى وبا يزيد وهو الذى حمل أخبار انتصار الجيش المصرى وجاء بالأعلام التى أخذت ودخل بها العاصمة وسط أفراح الشعب.

(٢) إبن إياس طبعة استامبول حوادث ٩٠٦ هجرية

اللاويون قفوا فى مصاطبكم. أيها الاسرائيليون خذوا مواقعكم»[1]

وهذه الفقرات هى فقرات خاصة بطبقة كما ترى.

وأما قضية «التبويق» فقدرأيت أن النبى (ص) كرهها كما كره استعمال الناقوس. وليس هنالك بين الأذان وبين التبويق أى وجه من أوجه الشبه، اللهم إلا الفكرة والفكرة عامة فى جميع الأديان.

يقول المستشرق ميتوخ: «يظهر من عبارة وردت فى كتاب المقريزى[2] أن الأذان إنما كان تنبيها للرسول عليه السلام وإخباره بحلول وقت صلاة الجماعة، كما كان تنبيهاً لخلفائه من بعده بحلول وقت الصلاة[3]. وقد نبه إلى هذه الفكرة المستشرق بيكر أيضا. وأما الإقامة فأنها علامة لبدء الصلاة أو مقدمة قصيرة للصلاة[4].

جواد على

(١) راجع التلمود (تاميد) عن هذه العادات. The Priesthood. P, 207. School and Synagogue. uol 2 P, 44 Life onder the Law Vol 2 P, 96.

(٢) mittwoch P' 2, 1 الخطط جـ ٢ ص ٢٦٩.

(٣) mittwoch. P ,45

(٤) mittwoch. P, 25 عن الأذان فى كتب الفقه المختلفة mischcat mosabih — ul — masabip Vol 1 P, 141 دائرة المعارف.

ومن ذوى العزم الشـديد(١) ولـكنه كان يتخوف منه ويخشاه ولذلك رسم له أن يتوجـه إلى دار الأمير أزدمير الداودار وأن يقابله هناك أمير المؤمنين الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة وبعض الأمراء ، فاذا انعقد المجلس أخذوا عليه المواثيق والأيمان بالطاعة لسلطانه ؛ وقد تم ذلك . ثم لبس الخلعة وخرج بموكب من القاهرة وهو يحمل التقليد بنيابة دمشق .

ويرجع ذلك الشك لأمرين ماسبق من تحالف سيباى وانضمامه لحركة قيت الرجبى المطالب بالعرش ، وبما اتصل إلى علم الغورى من بعض المنجمين من أن الذى يلى الحكم بعد الغورى يبدأ اسمه بحرف السـين . فأخذها السلطان على سيباى وتطير من اسمه ، وأصبح لا يأتمنه ولا يصغى لنصائحه ولا يأخذ بأقواله .

* * *

ولما تولى سيباى النيابة عن مصر بالشام وانطلع بالأمور حتى علم بما بين خير بك نائب مصر بحلب والسلطان سليم العثمانى من اتصالات مكتومة وبالمكاتبة ، فأبلغ الخبر فوراً إلى بلاط القاهرة ؛ ولكن الغورى لم يأخذ الأمر جدّياً بل اعتمد على قوة المصريين فى الحروب وثقته بما سبق أن أبدوه من البسالة فى حروبهم أيام قايتباى وانتصاراتهم المتتالية بقيادة (أمير الجيوش) أوزبك أتابك العساكر المصرية . ثم لعدم ارتياحه لكل ما يأتى من حامل حرف السين . وأخيراً لأن خير بك نائب حلب وسيباى كان يشغل هذا المنصب قبله ولا بد أن بين الأميرين أشياء .

ولم يكن ذلك من المصلحة لأن التغاضى عن نائب حلب جرّأ الغزالى نائب حماه الذى قلّد زميله فى الشمال ولم يحدث طول تاريخ مصر أن تجرأ العمال والقواد على الاتصال بالأعداء كما حدث فى تلك الأيام ، بل يذكر لنا التاريخ بعض الأمراء الذين حاولوا شيئاً من ذلك فعوقبوا بما يستحقون .

* * *

وقد ظهر علمه وفضله أيام نيابته بالشام ، فكان يجمع العلماء عنده فى كل ليلة جمعة يتذاكرون بين يديه فى أنواع العلوم والفقه وأعدّ لهم سماطاً كبيراً . ولما توترت العلائق مع العثمانيين كان من رأيه ألا يخرج السلطان من مصر ، بل يبقى بها يمد الجيوش وهو فى مأمنه حتى لا تتعرض البلاد للأخطار . وفى سبيل ذلك تحمل الكثير ، وجاءت النتائج محققة لظنه مؤكدة حسن فراسته

(١) أحمد بن سنبل

وبعد نظره ، ولو أخذ برأيه لما وقعت الكارثة ولما زالت عظمة مصر والشام من التاريخ

وقد ذكر ابن إياس وغيره شيئاً من ذلك فقال إنه بعث إلى الغورى برسالة جاء فيها: « يامولانا السلطان، إن الغلاء شديد بالبلاد الشامية وفيها نقص العليق والتبن ، والزرع فى الأرض لم يحصد ، وليس ثمة عدو متحرك فلا يترك السلطان سره ولا يسافر ، وإن كان ثمة عدو فنحن له كفاية » فلم يلتفت السلطان لكلامه واستمر على رأيه

ولم تكن القاهرة مرتاحة لخروج السلطان ، فأخذوا يعيبون عليه أنه خالف ما اعتاد عليه الملوك السابقون فى أشياء كثيرة من ترتيب الجيوش وجمعها . وأخيراً قالوا إنهم كانوا يخرجون فى فصل الربيع والوقت رطب . أما الغورى فقرر سفره فى فصل الصيف والجو فى شدة حرارته . ثم أذاعوا أن الملوك إذا ذهبوا للجهاد كانوا يخرجون من الجهات النائية ولا تشعر القاهرة بهم إلا فى عودتهم من ميادين القتال . وقد خالفهم الغورى فى ذلك فشق العاصمة بموكبه عند سفره(١) .

ولكن السلطان لم يكن ليلتفت لشىء من ذلك بل بقى متمسكا برأيه فى جميع الأمور ونفذ ما يريد .

* * *

وتحرك ركاب آخر سلاطين مصر والشام ومعه الجيوش المصرية فى يوم الجمعة ٢٠ ربيع الآخر سنة ٩٢٢ هـ قاصداً الشام عن طريق الريدانية فسرياقوس ثم الصالحية فقطيا إلى غزة التى أقام بها ثلاثة أيام .

ويقول المحلى : « ولما كان السلطان فى غزة وردت إليه مكاتبة من الأمير سيباى يذكر فيها(٢) : الذى يعرضه المملوك على المسامع العالية أعلاها الله تعالى وأدامها أن العبد سمع بأن السلطان يريد السفر لقتال ابن عثمان، وأن المملوك يقوم بهذا الأمر ويكون السلطان مقيما بمصر ويمد المملوك بالعساكر المنصورة . والذى يعلم به مولانا السلطان أن خير بك ملاحى علينا ومكاتيبه لا تنقطع من عند ابن عثمان فى كل حين » فرد عليه الغورى ها نحن قد جئنا كم بأنفسنا. ثم أمر برحيل الجيوش والعساكر وهم يموجون كالبحر الزاخر .

* * *

فى يوم الإثنين ١٨ جمادى الأولى سنة ٩٢٢ استقبلت دمشق

(١) نجد تفاصيل خروج الغورى فى ابن إياس
(٢) عن تاريخ حلب للطباخ

العاصمة الثانية الملك الأشرف أبا النصر قانصوه الغوري ، وقد حفظ لنا التاريخ وصف ذلك اليوم الخالد فقالوا : إن موكبه دخل من باب النصر وشق المدينة وخرج منها إلى ناحية القابون العليا ، حيث كان معسكر الجيش وأقام تسعة أيام بمصطبة السلطان . ولم يتفق مثل موكبه لسلطان من سلاطين مصر بعد الأشرف برسباي سنة ٨٢٦ هجرية فدقت البشائر بقلعة دمشق — وكانت عامرة — وزينت المدينة أجمل زينة وفرشت شقق الحرير تحت أرجل خيله ابتداء من جامع سيباي ، ويذكر ابن إياس أن قنصل الفرنجة بدمشق وتجارهم اشتركوا مع الأهلين في الترحيب بملك مصر ونثروا دنانير الذهب عليه وجاء رئيس دار الضرب بدمشق المحروسة المعلم صدقة الإسرائيلي ، فنثر نقوداً من الفضة جديدة ضربت لهذه المناسبة السعيدة

وكان سيباي قد خف إلى ناحية سعسع[1] على طريق مصر ، وقيل إلى طبرية لاستقبال الغوري ، ولما دخل دمشق كان بجوار السلطان يحمل له القبة والجلالة ، كما جرت بذلك المراسم المعتادة لملوك المصريين

وسار الغوري إلى حلب ومعه سيباي وأمراء الشام ، وهناك تجمعت جيوش ممالك مصر والشام وحلب استعداداً ليوم مرج دابق — وليس هنا موضع درسه ولا بحثه — وإنما نذكر حادثة وقعت هناك إن دلت على شيء فهو جرأة سيباي وصراحته المتناهية ، وهي أن والي عينتاب[2] ، وكانت من أعمال مصر ، انضم إلى العثمانية ، فلما رأى أهبة المصريين ندم على ما فعله ، وجاء إلى السلطان منضما إليه تائباً ، فلم تجز عليه حيلته ، وأعدم لتسليمه المدينة ، وكان ذلك بحضور الأمراء والنواب والأعيان ، فقام من بينهم سيباي وقبض على خير بك نائب حلب وجره بين يدي الغوري وقال : « يامولانا السلطان إن أردت أن ينصرك الله على عدوك فاقتل هذا الخائن » فقام الغزالي وقال « يامولانا لا تفتن العسكر ونبدأ في قتال بعضنا بعضاً : وتذهب أخباركم إلى عدوكم ويزداد طمعه فيكم وتضعف شوكتكم والرأي لكم ! »

والتفت السلطان نحوهم وطلب إليهم « بأن يتحالفوا ثانياً ، وألا يخون منهم أحد ، والخائن يخونه الله تعالى وعليه لعنة الله » ثم أمر بأن ينادى بالرحيل ، وتحركت القوى إلى حيث تلتقي جموع العثمانيين في شمالي حلب على بعد ثلاثين كيلومتراً في وسط سهل مرج دابق ليوم من أيام مصر السود ، وهو يوم الأحد ٢٥ رجب سنة ٩٢٣ ، وهناك كان مثوى ملك الأمراء سيباي آخر من حكم دمشق باسم مصر

* * *

في يوم شديد الحر وقد انعقد الغبار حتى صار لا يرى المتقاتلون بعضهم بعضاً خطت الأقدار حكماً ضد مصر وجندها فخسروا المعركة بعدوهم لعبت فيه البطولة والخيانة وعظمة النفس مع الكيد وسوء الظن معاً ، وكان على رأس جند الشام سيباي في ميمنة الجيش يقاتل قتال المستميت ، ويصادم مع أمراء مصر لكسب معركة خاسرة . قال المحلي : « ولكنهم مع قلتهم أوقفوا هذا الجيش العظيم ولم يقدر أحد منهم أن يتقدم » . وفي مواجهة العدو وتحت لأمة الحرب سقط أمير الأمراء سيباي الكافلي مع من استشهد في وطيس ذلك النهار

ماذا كان من أثر ذلك اليوم ؟ كان أن أصبحت مصر العظيمة[1] تحت الجزية بعد أن أمضت القرون تفرض الجزية على غيرها

وفي حارة من حارات دمشق على رأس شباك من زاوية يطلق عليها اسم زاوية السلطان عمر بن عبد العزيز أبقى الزمن هذا المرسوم بالخط النسخ المملوكي منقوشاً على الحجر

- « مما رُسم بالأمر الكريم العالي المولوي السيفي سيباي مولانا ملك الأمراء كافل الشام المحروسة أعز الله أنصاره بأبطال المظالمة المحدثة على حارة القنوات بسبب واقع في النهر وبأبطال الجبايات والحماية وشيخ الحارة » . تلك تحية من الزمن لمصر الخالدة !

* * *

أين عظامه ؟ أين تراثه ؟ أين الأوقاف التي أرصدها على مدرسته بدمشق ؟ أين آثاره بحلب ؟ كل ذلك ذهب مع الريح !

لا لم يذهب شيء ، إن سيباي وغيره باقون مع الزمن ، لأن الدروس التي نتلقاها من الموت والهزيمة أقوى وأشد وقعاً من دروس النصر والغلبة ، وراحة البال والطمأنينة .

احمد رمزي

القنصل العام السابق لمصر بسورية ولبنان

(حاشية) : سقطت كلمة الأستاذ إمام كرد علي ، وهو العالم الكبير ذي الفضل العظيم في العدد السابق .

(١) اسمها الحالي غازي عينتاب وهي داخل الأراضي التركية التي كان جزء كبير منها داخل الأراضي المصرية أيام الغوري .

(٢) بلدة على الطريق .

(١) هكذا ورد رثاء أورشليم في العهد العتيق .

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

الفيتامينات تغذى عقلك أيضاً

سمعت طبعاً عن الفيتامينات وضرورتها للحياة السعيدة وللصحة الجيدة . وعرفت أن الجسم الذى يعانى نقصاً منها يعانى من الآلام والعلل ما لا يتيح له مواصلة الحياة . ولكنك لم تعرف أن العلماء اكتشفوا أخيراً أنها غذاء العقل أيضاً . وأن نقصها يؤدى إلى حالات مختلفة من الاضطراب العقلى فيصاب الإنسان بالقلق وضعف الذاكرة وسرعة التعب وعدم الرغبة فى العمل كما يحس بآلام خفية فى مفاصله وظهره ويفقد شهيته .

وقد يكون الضعف التناسلى نتيجة لنقص أحد أنواع الفيتامينات المتعددة . بل هناك نوع من الفيتامين ينظم قدرة الإنسان الجنسية . وأولئك الذين يعانون نقصاً فى الفيتامينات هم فى الواقع أقل قدرة على مواجهة الحياة وأكثر تعرضاً للفشل لأنهم محرومون من صحة الجسم وسلامة العقل .

ولكى ندرك تأثير الفيتامينات على العقل يجب أن نعرف عملها فى الجسم . فالفيتامينات إحدى الهبات التى نجدها فى منتجات الطبيعة من الأغذية والخضروات التى نأكلها مثل البيض والكبد واللبن والقمح والطماطم والفواكه وغيرها . وتيسر منذ سنوات قلائل الحصول على هذه المواد بالطرق الصناعية فانتشرت مركباتها فى الصيدليات كحبوب أو كحقن تستخدم لعلاج حالات نقصها أو للتغلب على بعض الأمراض الناشئة .

ولا يحتاج جسم الإنسان إلى مقادير كبيرة من هذه المواد الضرورية فما تحتاجه من فيتامين (ب) المعروف باسم الثيامين لا يتجاوز جزءاً من ألف من الأوقية فى اليوم الواحد ، أى أن أوقية واحدة من الفيتامين تكفيك ثلاث سنوات أو تكفى ألف شخص ليوم واحد .

وعمل الفيتامينات فى جسم الإنسان أنها تساعد على تحويل المواد الغذائية التى تتناولها إلى نشاط جسمانى وعقلى . وبغيرها لا يستفيد الجسم شيئاً من المواد التى نأكلها . وقد اكتشف الطب والكيمياء عشرة أنواع من الفيتامينات مرتبة على الحروف الهجائية تبعاً لوقت اكتشافها . ولا يزال العلماء منهمكين فى اكتشاف أنواع أخرى منها .

وأكثر الفيتامينات تأثيراً على العقل هو فيتامين ب بأنواعه الستة ، ولاثنين منها تأثير خاص على العقل وهما الفيتامين والنيكوتين . وتوجدان بكثرة فى الخمائر والكبد والبيض . وأيسر طريق لتعاطى هذين النوعين هو الإقبال على حبات الخمائر المجهزة المعروفة فى الصيدليات ، فإن تعذرت فعليك بإحدى خمائر الأفران الأفرنجية أذبها فى قليل من الماء المحلى بالسكر واشربها فى الصباح وفى المساء فتحصل على كمية وافرة من الفيتامينات التى يحتاج إليها جسمك وعقلك .

وظواهر نقص الفيتامين تبدو من تنمل الأطراف ، فإن كانت الحالة حادة شعرت بألم فى يديك وقدميك . ويبدو هذا الألم فى الغالب كأنه التهاب لا تعرف سببه . وأحياناً يخطىء فيظنه نوعا من الروماتزم . ويلاحظ فى الوقت ذاته أن الإنسان يحس بالتعب السريع والضعف إن هو أجهد نفسه .

ومن نتائج نقص الفيتامين أيضاً المرض المعروف بالنورستانيا . وظواهره مختلفة متباينة من ميل إلى الخمول أو فقدان الشهية والذاكرة والأرق ، كما يبدو الإنسان مغموماً ورأسه مثقل بالهواجس ، ولا تكون هذه الظواهر شديدة حادة ولكنها تكفى لأن يشعر الإنسان أنه مريض أو متوعك المزاج .

فإن أقبل المريض على تعاطى نوع جيد من مركبات الخمائر فأنه لن يلبث أن يدهش للتقدم السريع الذى يحصل عليه فى أيام قلائل فأنه سيحس بانتعاش عاجل ، وبتطور غريب يعيده إلى حالته الطبيعية .

وثانى أنواع الفيتامين تأثيراً على العقل هو المعروف باسم حامض النيكوتين وتركيبه الكيماوى قريب من نيكوتين التبغ . وقد تكلمنا عن نقصه فى مقال سابق عن البلاجرا وذكرنا مدى انتشارها فى بلادنا .

ولم يكشف العلم الغطاء تماماً عن أسرار فيتامين حامض النيكوتين وإن كانت ظواهر البلاجرا من إسهال وميل إلى النحافة وظهور الالتهابات الجلدية وغيرها من الآلام التى يعانيها الجسم من النتائج الثابتة لنقصه .

ولا يعنينا فى هذا المقال أن نتحدث عن الظواهر الجسمانية بل إن ما يهمنا هو الظواهر العقلية التى يحس فيها المصابون بقلق

وعدم اطمئنان فهم يخشون شيئاً لا يعرفون ما هو ويغلب عليهم الاضطراب والميل إلى التقلب وصعوبة التفاهم ولا يستطيعون السيطرة على عواطفهم ، فما أسرع ما تبكيهم وما أسرع ما تضحكهم ، تفضبهم ضوضاء حركة المرور، وإقفال الأبواب بعنف . وقد يثيرهم سماع الراديو ويتعب أنظارهم الضوء الوهاج .

فإذا كانت الحالة حادة أوجدت فيهم استعداداً للجنون فلا مفر من نقلهم إلى المستشفيات العقلية . وعلاج هذه الحالة إذا لم تؤد إلى حالة أخرى هو طبعاً تعاطى فيتامين حامض النيكوتين .

والمواد الكحولية والمسكرات تؤدى إلى نقص الفيتامينات فى الجسم لأن المعدة تستهلك كمية أكبر لتوازن كيماويات الكحول ولتعادل تأثيرها فضلا عن أن الجسم نفسه يحتاج إلى مقدار أوفر من فيتامينات ب . فإن وصلت حالة النقص إلى تأثيرها الحاد اختلط العقل ورأى المصاب أشباحاً وحيوانات مخيفة تسبح فوق رأسه وتكتنفه من كل جانب ، ومن الضرورى فى هذه الحالة حقن المصاب بكميات كبيرة من فيتامينات ب . وهذا العلاج فى الغالب يؤدى إلى تحسن ملموس .

ومن الخطر أن يهمل الإنسان نفسه إن أحس بنقص هذه المواد الحيوية لأن النتائج تكون فى الغالب وبيلة . وقد تنفع فى علاجها فى أول الأمر بضع حبات من الفيتامين المطلوب فإن أزمنت فإنها ستنقلب إلى أمراض أخرى يتعذر شفاؤها ولا سيما أن الأمراض العقلية من أعسر الأمراض علاجاً ، وقال بعض الإخصائيين إن علاجها ليعود الإنسان إلى الحالة الطبيعية لا يتجاوز الثلاثة فى المائة .

الأشرطة السينمائية واختبار نجاحها

توصل الدكتور جورج جالوب إلى اختراع آلة تسجل استجابات الجمهور من نشوة أو ابتهاج أو استسخاف حيال مسرحية أو شريط سينمائى وتسجل هذه الآلة إحساسات كل فرد من الشاهدين على لوحة من الورق حيال كل منظر من مشاهد الشريط . وبتطبيقها على مفتاح للشريط يعرف منتجوه أى أجزائه حاز القبول أو الاستهجان .

وبعد انتهاء عرض الشريط أو المسرحية تجمع الآلة استجابات الجمهور وتوضحها فى خمس درجات وهى « مقبول » و « مقبول جداً » و « محايد » و « سخيف » و « سخيف جداً » .

وطريقة استخدام هذه الآلة أن يجلس الجمهور فى الحفلات الأولى كالمعتاد ويمسك كل مشاهد بيده آلة صغيرة متصلة بالآلة الكبيرة فتسجل إحساسه فى كل مشهد يراه على شريط من الورق . وتعتمد الآلة فى تسجيل هذه الإحساسات على اهتزازات الإنسان المختلفة حيال المشاهد المختلفة ، فللفرح هزته ، وللانتعاش هزته أيضاً .

وقد توصل العلماء الأمريكيون من زمن إلى تحليل ظواهر الإحساسات النفسية . ويقسم الدكتور جالوب رواد الملاهى أيا كانت ثروتهم أو فقرهم إلى ٤٢ قسما من مختلف الأعمار والميول .

ويتوقع أصحاب الملاهى لهذه الآلة مستقبلا باهراً كما يتوقعون انتعاشاً كبيراً لأعمالهم فعلى هديها يتاح لهم أن يقدموا للجمهور ما يحتاج اليه من متع . وغنى عن القول أن هذه الآلة سوف تطلعهم على مواطن الضعف فى مباهجهم فيعدلونها بما يناسب طلبات الجمهور وذوقه .

وقد اختبرت هذه الآلة حتى الآن ٤٥ شريطاً سينمائياً . وصححت بعض الأشرطة بعد اختبارها بهذه الآلة فارتفعت من مرتبة ضعيف جدا إلى نجاح كبير .

فوزى الشتوى



١١ - الفن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

عن الأمس وعن اليوم (تابع)

فقلت وأنا أطبق ما شرحه صديق على التماثيل التي أمامنا :

« لابد وأن يكون صعباً على المرء أن ينفذ إلى أعماق نفوس الآخرين على هذا النحو » .

« نعم لاريب في ذلك » ثم عاود حديثه في شيء من التهكم :

« ولكن أكبر الصعاب التي تصادف الفنان الذي يمثل تمثالا أو يصورصورة لا تأتي من ناحيته ولكن من ناحية العميل الذي يعمل له الفنان . إن الإنسان الذي يطالب الفنان بعمل مثال له يشابهه تمام المشابهة لهو الذي يعنت الفنان عنتاً شديداً بقانون عجيب قاتل . إذ قلما يستطيع امرؤ ان يرى نفسه على حقيقتها ، وإن هو استطاع ذلك فإنه يأبى على الفنان أن يظهره على تلك الحقيقة . بل يريد منه أن يظهره بمظهر مبتذل تافه . إنه يود أن يبدو كاللعبة التي تحركها الخيوط ، يسره أن يظهر بالوظيفة التي يؤديها أو بالمركز الذي يشغله في الهيئة الاجتماعية ، وأن يمحى الرجل الذي فيه محواً تاماً . فيرغب الحاكم في أن يرى ثوبه المنمق ، والقائد عباءته الموشاة بالذهب ولكن قلما يعنى أحد منهم بأن تقرأ أخلاقه ونفسيته من صورته .

وفي هذا ما يفسر نجاح الكثيرين من أوساط المصورين والمثالين الذين يقنعون بإبراز المظهر الذي لا يدل على شخصية عملائهم كملابسهم المزخرفة وهيئاتهم الرسمية . أولئك هم الفنانون الذين لهم الحظوة الكبرى لدى الجمهور لأنهم يسدلون على مثلهم ستراً من العظمة والأبهة . وكلما زادت تهاويل الصورة وتزايينها كانت أقرب إلى اللعبة الجامدة المزوقة ، وازداد ارتياح العميل إليها .

ربما لم يكن هذا كذلك في كل الأحوال . إذ يظهر أن بعض سادة القرن الثامن عشر مثلا كانوا يطربون لرؤية أنفسهم مصورين على هيئة ضباع أو نسور على ظهر أنواط من تلك التي كان يصنعها بنزانللو . كانوا ولا شك فخورين بشخصياتهم أو بالحرى كانوا قد أحبوا الفن وأجلوه ، واستساغوا صراحة الفنان الجافة النابية كما لو كانت جزءاً موقعاً من رئيس روحي .

لم يتردد المصور تيتيان في إظهار أنف البابا بولس الثالث على هيئة فنطيسة ابن عرس ، ولم يحجم عن إيضاح غطرسة شارل الخامس الجافية ، أو عن تبيان شهوانية فرانسوا الأول . ومع كل ذلك لم يفقد مكانته أو شهرته لديهم . كذلك كان شأن فلاسكوز الذي لم يملق الملك فيليب الرابع فصوره كرجل غفل خامل برغم ما يبدو عليه من الظرف وحسن الشمائل ؛ ولم يتحرز من إظهار فكه المتدلي ، ومع ذلك استبقى حظوته لديه فاستحق بذلك الملك الإسباني الإجلال والإكرام من الأجيال القادمة لأنه كان نصير العبقرية وملاذها .

أما رجال اليوم فقد أصبحوا يخشون الحق ويحبون الكذب . ويبدو منهم أنهم يمقتون رؤية أنفسهم على سجيتها في الصور والتماثيل . كلهم يريد أن تكون عليه سيما التجمل والتزين .

حتى أكثر النساء جمالا ممن لهن قسمات مليحة ممتازة يستبشعن جمالهن وينكرنه عند ما يبرزه مثال نابه . فتراهن يضرعن إليه أن يجعلهن دميات بأن يضفي عليهن ملامح كالتي تبدو على عرائس الأطفال ودماهم .

وعلى ذلك ، فعلى المثال الذي يشرع في عمل تمثال أن يخوض غمار معركة طويلة مضنية . وكل ما يهم في الأمر ألا ينكص على عقبيه أو يضعف أو يهن بل يظل ثابتاً مخلصاً لنفسه . فإذا ما رفض عمله زاد الطين بلة . وربما كان الخير في ذلك لأنه غالباً ما يكون لذلك العمل مزايا عظيمة .

أما العميل الذي يقبل قطعة طيبة على غير مشتهاه ورضاه ، فإنه لايلبث أن يغير شعوره نحوها عندما يتمدحها الهواة ، وينتهي به الأمر أخيراً إلى الإعجاب بها ، وبعد ذلك يعلن في صراحة أنه كان يحبها ويقدرها دائماً

وفضلا عن ذلك يلاحظ أن أروع التماثيل وأجملها هي ماصنعت للأهل أو للأصدقاء بلا مقابل ، وليس ذلك لأن الفنان يعرف مثاله معرفة طيبة من طول النظر إليه ومحبته له فحسب ، بل لأن مجرد شعوره بإهداء عمله إليه يطلق له عنان الحرية في العمل

ومع ذلك فقد رفضت أحسن التماثيل عندما وهبت للأصدقاء بغير مقابل ، وعلى الرغم من أنها قطع خالدة ، فقد أعدت إهانة للمهدى إليهم . ينبغي على الفنان أن يسير في طريقه قدماً ، ويجد تمام لذته وحسن جزائه في أن يقوم بعمله على خير الوجوه وأحسنها »

لقد تابعت باهتمام كبير نفسية الجمهور الذي يتصل به الفنان ولكن يجب على أن أثبت هنا أن كثيراً من المرارة كانت تمازج تهكم رودان ، قلت له :

« ولكن يظهر يا أستاذ أنك أغفلت تجربة من تجارب حرفتك ، وهي أنك تصنع تمثالا لعميل لا يحوي رأسه تعبيراً ما أو ينطوي على غباوة ظاهرة . فضحك رودان من قولي ثم أجاب :

« هذا لا يمكن أن يحسب في عداد التجارب . ثم لا يجب أن تنسى مبدئي الذي أستمسك به دائماً وهو : أن الطبيعة جميلة أبداً . وليس علينا إلا أن نفهم ما تظهره لنا . إنك تتكلم عن وجه بلا تعبير . وفي الواقع لا يوجد مثل هذا الوجه لدى الفنان الذي عنده أن كل رأس يدعو إلى الاهتمام . دع مثالا يلحظ وجها غفلا ساذجا ، أودعه يظهر لنا معتوهاً منصرفاً إلى العناية بمظاهر دنياه فترى منه تمثالا جميلا رائعاً .

« ثم ان ما يسمى (بالسطحية) غالباً ما يكون شعوراً غير مكتمل بالنسبة لنقص التعليم والتهذيب وفي تلك الحالة يتخذ الوجه مظهراً غامضاً جذابا لعقلية تبدو كأنها مقنعة بقناع شفاف » .

« وأقول أخيراً — ولا أدري وايم الله كيف أفصح عما أريد أن أقول — إن أحقر الرءوس شأناً ، وأقلها خطراً ما هو إلا مستكن لتلك القوة السحرية العجيبة — الحياة . وعلى ذلك فهو معين لا ينضب لعمل الطرفة الفنية الفذة » .

شاهدت بعد عدة أيام بمرسم رودان في ميدون صبائب لكثير من تماثيله البديعة . وهناك انتهزت الفرصة وسألته أن يوقفني على الذكريات التي تبعثها تلك التماثيل . كان هناك تمثال فيكتور هوجو — غارقا في بحار التأمل ، جبهته المجعدة كأنها البركان ، وشعره الأشعث كأنه ألسنة لهب أبيض تندلع من جمجمته ...

إنه تمثيل صادق للشعر الغنائي الحديث من حيث عمقه واصطخابه .

قال رودان :

« إن صديقي بازير Bazire هو الذي قدمني لفيكتور هوجو وعرفني به . وكان بازير كاتم سر جريدة المارسييز ثم جريدة الانترانسيجان فيما بعد . وكان يعبد فيكتور هوجو . وكان أول من فكر في عمل حفل سنوي للشاعر العظيم بمناسبة عيد ميلاده الثمانين . وكان الحفل كما تعلم هادئاً رائعا . فقد أشرف الشاعر من شرفة منزله يحيي الجماهير الغفيرة التي قصدت منزله تطلب مشاهدته . فكان كأنه البطرق يبارك شعبه . ومن أجل ذلك اليوم احتفظ هوجو بامتنان عظيم لذلك الرجل الذي دعا إلى الحفل ونظمه . وهكذا استطاع بازير أن يقدمني إليه في غير مشقة . ولسوء الحظ كان فيكتور هوجو موتوراً من مثّال وسط إسمه فيلان Villain اضطره إلى جلوس ثمان وثلاثين جلسة أخرج له بعدها تمثالا رديئاً . ولهذا فإني عندما تقدمت إليه متعثراً بأذيال الخجل ، مبدياً له رغبتي في تخليد قسمات مؤلف « التأملات » قطب حاجبيه الأولمبيين وقال : « أنا لا أستطيع أن أمنعك من العمل ، ولكني أصارحك القول إني سوف لا أجلس إليك وسوف لا أبدل عادة من عاداتي من أجلك ، فدبر أمرك وتخير أداتك .

(يتبع)

دكتور محمد بهجت

قسم البساتين

من وحي انجلترا (١)

نهر الجمال

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

في مقاطعة دفونشير الجميلة بانجلترا مفاتن من الجمال الطبيعي ؛ وأحد هذه المفاتن نهر « الأكس » الذي ينبع من مرتفعات دفون مارا بمدينة إكستر . وهنا يناجيه الشاعر بهذه الأبيات : —

ألفيتُ في واديك أنسا   وصفاء عيش ليس يُنسى
أمسٌ طوته يدُ الغيو   بِ فمن يردُّ إليَّ أمسا ؟
أودَعتُ تلك الذكريا   تِ لديك بالكتمان رمسا
فاحفظْ وديعتَك التي   خُلِسَتْ من الأيام خلسا..

خلتْ الحياةَ على ضفا   فك لا تزولُ ولا تضيعُ
فإذا الحياةُ قصيرةٌ   وإذا البطيء بها سريعُ ..
وإذا الليالي الذاهبا   تُ لديك ليس لها رجوعُ
لا دامَ يا نهرُ الشتا   ءُ بها . ولا بقيَ الربيعُ

سِيَّانِ منبعكَ الموشَّى   بالبدائع أو مصبُّك
أين الذي روَّيته   ماء الحياة ولا يحبُّك ؟
وعلى ضفاف النيل ظمآنٌ مُناه لو يعبُّك !
القلبُ بَاحَ بسرِّه   أفهل يبوحُ اليومَ قلبُك ؟

تلك الهضابُ الحانيا   تُ على ضفافك لا تزال ؟
وعلى صحيفتك النضيـ   ـدة لم تزل تلك الظلالُ ؟
وهل الليالي المُقمِرا   تُ هناك يُحييها الوصال ؟
حيث القلوبُ تشبُّ جذْ   وتها ويَستعرُ الخيال ؟

أين الطيورُ الرائحا   تُ على مياهك والغوادي ؟
تلهو الصغارُ بها ونُطْـ   ـعمها الوليدةُ بعضَ زادِ
هي آمناتُ السرب تمْـ   ـرح تحت أكناف العباد
هل فرَّقتها اليومَ غا   رات الوحوش على البلاد ؟؟

هل ظلَّ منبعك الغزيـ   ـر من الشمال كما رأينا ؟
وهل المصبُّ كما افترقـ   ـنا في رُباه أو التقينا ؟
والصخرة الحمراء هل   بقيتْ كما كانت علينا ؟؟
أين السبيلُ إليك يا   نهر الأحبة أين أينا ؟؟

محمد عبد الغني حسن

(١) من ديوان للشاعر تحت الطبع بهذا العنوان .

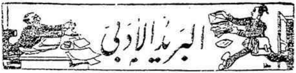
يا شعر !

للمرحوم أبي القاسم الشابي

يا شعر ! أنت فم الشعور ، وصرخة الروح الكئيب
يا شعر ! أنت صدى نحيب القلب ، والصب الغريب
يا شعر ! أنت مدامع علقت بأهداب الحياة
يا شعر ! أنت دم تفجر من كلوم الكائنات
يا شعر ! قلبي — مثلما تدري — شقي مظلم
فيه الجراح النجل يقطر من مغاورها الدم
جمدت على شفتيه أوزار الحياة العابسه
فهو التعيس ، به مرارات القلوب البائسه
أبداً ينوح بحرقة بين الأماني الهاويه
كالبلبل الغريد ما بين الزهور الذاويه
كم قد نصحت له بأن يسلو وكم عزيته
فأبى وما أصغى إلى قولي ، فما أجديته
كم قلت : صبراً يا فؤاد ! أما تكف عن النحيب !
فإذا تجلدت الحياة تبددت شمل اللهيب
يا قلب . لا تجزع أمام تصلب الدهر الهصور
فإذا صرخت توجعاً . هزئت بصرختك الدهور
يا قلب ! لا تسخط على الأيام ، فالزهر البديع
يصغي لضجات العواصف قبل أنغام الربيع
يا قلب لا تقنع بشوك اليأس من بين الزهور
فوراء أوجاع الحياة عذوبة الأمل الجسور
يا قلب لا تسكب دموعك بالفضاء . فتندم
فعلى ابتسامات الفضاء قساوة المتهكم

لكن قلبي وهو مخضل الجوانب بالدموع
جاشت به الأحزان إذ طفحت بها تلك الصدوع
يبكي على الحلم البعيد بلوعة لا تنجلي
غردا كصداح الهواتف في الفلاة يقول لي :
طهر كلومك بالدموع وخلها وسبيلها .
إن المدامع لا تضيع حقيرها وجليلها
فمن المدامع ما تدمع جارفاً حسك الحياة
يرمي لهاوية الوجود بكل أشواك الطغاة
فارحم مضاضته ونح معه على أحلامه
فلقد قضى الحلم البديع على لظى آلامه
ردد على سمع الدجى أنات قلبي الواهيه
واسكب بأجفان الزهور دموع قلبي الداميه
فلعل قلب الليل أشفق بالقلوب الباكيه !
ولعل جفن الزهر أحفظ للدموع الجاريه !
كم حركت كف الأسى أوتار ذياك الحنين
فتهاطلت أحزان قلبي في أغاريد الأنين
ولكم أرقت مدامعي حتى تقرحت الجفون
ثم التفت فلم أجد قلباً يقاسمني الشجون
فعسى يكون الليل أرحم فهو مثلي يندب
وعسى يصون الزهر دمعي فهو مثلي يسكب
قد قنعت كف السماء الموت بالصمت الرهيب
فغدا كأعماق الكهوف بلا ضجيج أو وجيب
يأتي بأجنحة السكون كأنه الليل البهيم
لكن طيف الموت قاس والدجى طيف رحيم
ما للمنية لا ترق على الحياة النائحه ! ؟
سيان أفئدة تئن أو القلوب الصادحه ؟
يا شعر ! هل خلق المنون بلا شعور كالجماد ؟
لا رعشة تعرو يديه إذا تعلقه الفؤاد ؟
أرأيت أزهار الربيع وقد ذوت أوراقها
فهوت إلى صدر التراب وقد قضت أشواقها ؟
أرأيت شحرور الفلا مترنما بين الغصون
جد النشيد بصدره لما رأى طيف المنون ؟
فقضى وقد غاضت أغاريد الحياة الطاهره
وهوى من الأغصان ما بين الزهور الباسره
أرأيت أم الطفل تبكي ذلك الطفل الوحيد
لما تناوله بعنف ساعد الموت الشديد ؟
أسمعت نوح العاشق الولهان ما بين القبور
يبكي حبيبته فيا لمصارع الموت الجسور ؟
طفحت بأعماق الوجود سكينة الصبر الجليد
لما رأى عدل الحياة يضمه اللحد الكنود
فتدفقت لحناً يردده على سمع الدهور
صوت الحياة بضجة تسمى على شفة البحور
يا شعر ! أنت نشيد أمواج الخضم الساحره
الناصعات ، الباسمات ، الراقصات ، الطاهره .
السافرات ، الصادحات ، مع الحياة ، إلى الأبد !
كعرائس الأمل الضحوك يمسن ما طال الأمد
ها إن أزهار الربيع تبسمت أكمامها
ترنو إلى الشفق البعيد تغرها أحلامها
في صدرها أمل يحدق نحو هاتيك النجوم
لكنه أمل ستلحده جبابرة الوجوم
فلسوف تغمض جفنها عن كل أضواء الحياة
حيث الظلام مخيم في جو ذياك السبات
ها إنها همست بآذان الحياة غريدها
فتلت عصافير الصباح صداحها ونشيدها
يا شعر ! أنت نشيد هاتيك الزهور الباسمه
يا ليتني مثل الزهور بلا حياة واجمه
إن الحياة كئيبة مغمورة بدموعها
والشمس أضجرها الأسى في صحوها وهجوعها
فتجرعت كأساً دهاقا من مشعشعة الشفق
فتمايلت سكرى . إلى كهف الحياة ولم تفق
يا شعر ! أنت نحيبها لما هوت لسباتها
يا شعر ! أنت صداحها ، في موتها ، وحياتها
يا شعر ! يا قيثارة الأحلام يا ابن صبابتي
لولاك مت بلوعتي وبشقوتي وكآبتي
فيك انطوت نفسي وفيك سكبت كل مشاعري
فاصدح على قمم الحياة بلوعتي .يا طائري

أبي القاسم الشابي



في (طبيعي لا طباعي ولا طبعي)

جاء في (اللسان): «والطباع واحد طباع الإنسان على فعال مثل مثال»

وقد ضبطت (طباع) الثانية في هذا الكتاب بالكسر، فتوهمت هذا الضبط، وظننت اللفظة المفردة جمعاً، فقلت في كلمتي (طبيعي لا طباعي ولا طبعي): «والأزهري أو غيره يقول: — كما نقل اللسان والتاج — الطباع واحد طباع الإنسان على فعال قلت: فهو عنده كهجان وهجان ودلاص ودلاص». وقد أخطأ ضابط الطباع هنا بالكسر، وأخطأت أنا في ظني أنها جمع، ومن دأب (اللسان) تكرير العبارات التي ينقلها دون تبيين كاف، والصواب هو ضبط (الطباع) الثانية بالضم، وهي تفسير لقوله (الطباع واحد)، فليست الطباع في هذه الجملة جمعاً.

محمد إسعاف النشاشيبي

بيمارستان قلاوون

في الأسبوع الماضي أقام اتحاد خريجي الجامعة في ناديهم حفلة تأبين للدكتور الراحل محجوب ثابت، وقد قام أصدقاء الفقيد وزملاؤه وطلبته يعددون مآثر الفقيد ويترحمون عليه بما هو أهل له. ولست بصدد الكلام عن الحفلة، بل أقول إن الكلمة الختامية لهذه الحفلة كانت للأستاذ عبد العزيز عبد الحق أستاذ التربية بكلية الشريعة، وقد بين فيها ما كان للفقيد من مشروعات وبرامج إصلاحية من الوجهة التعليمية، وذكر منها: أن الفقيد كان يرمى إلى إنشاء كلية إسلامية للطب يكون مقرها مستشفى قلاوون (البيمارستان)، تلك المستشفى التي زارها كثيرون من الأجانب، والتي وعت كتب التاريخ عنها الشيء الكثير، فقد ذكرت أن الذي كان يقوم بالتدريس في هذا البيمارستان شيوخ معممون من الذين تشبعوا بالثقافة الشرعية والعلوم الإسلامية، وتكون تلك الكلية تابعة للأزهر، وهو بذلك العمل يريد أن يعيد لذلك البيمارستان ما كان له من المجد الغابر والمكانة العظيمة أيام المماليك

تلك بعض معلومات تناولها الأستاذ عبد العزيز في كلمته ولما كان بعض القوم ليس لهم علم بهذا المشروع، وتساءلوا عنه حين سمعوه، وود البعض الآخر لو يعرفه حق المعرفة، ويفهم مراميه حق الفهم، فإننا نتقدم إلى الأستاذ راجين منه أن يوضح لنا هذا المشروع الذي خفي على بعضهم، والذي أنتجته رأس مفكرة، وقريحة متقدة قبيل الوفاة!

حسين عبد اللطيف السيد

الماركسية والحرية الفردية

يقول الأستاذ العقاد في مقاله «السلفية والمستقبلية» إن الحرية الفردية والتبعة الشخصية هي مقياس التقدم التاريخي، وأن الماركسية تقضي على هذه الحرية كما تقضي على التبعة الشخصية، وهو اتهام قديم طالما وجه إلى الماركسية. فالماركسية لا تنفي الفردية وإنما تنفي الانفرادية، وهي لا تهدم الشخصية ولكنها تهدم الانعزال. والانفرادية معناها تجريد الفرد من المجتمع، وعزلته عن الجماعة التي يعيش بين ظهرانيها، ومعناها إنكار أثر المحيطات والظروف الاجتماعية في حياة الفرد، ومعناها أن الدوافع الحقيقية التي تسيطر على الإنسان تظل مجهولة له، فيتخيل دوافع زائفة أو ظاهرية، ليست في الحقائق المعقولات، ولكنها المثاليات التي يحتفظ بها لا بلا شعور، ولكن بشعور زائف. وعندما تقول الماركسية بأثر التطور في وسائل الإنتاج في التطور التاريخي وفي الروابط القائمة بين بعض الأفراد، وبين الطبقات وبعض، أو على الأصح بين الطبقتين اللتين يتكون منهما المجتمع، فإنها تبني هذا القول لا على تضارب الترهات، وإنما تبنيه على أن الطبيعة ليست أحداثاً فجائية، لا رابطة تقوم فيها بين الشيء والظاهرة، ولكنها كل مرتبط ببعضه، فيه الأشياء والظواهر مرتبطة حيوياً ارتباطاً يجعل كلا منها أساساً للآخر ومعتمداً عليه ومكيفاً له، وعلى هذا لا يمكن تجريد أي شيء في الطبيعة وأخذه لبحثه في ذاته، وعلى هذا فالانفرادية شيء يتعارض مع قوانين الطبيعة.

والماركسية تؤكد الشخصية والفردية، كما تؤكد الحرية

حين تقول إنها تقدير الضرورة ، وحين تقول إن الضرورة عمياء ما دامت غير مفهومة ، وحين تبنى التحول فى فهم ماهية الأشياء من كونها ذات قيمة ذاتية إلى كونها ذات قيمة لنا ، وحين تقول إن الحرية الفردية إذا لم يدعمها استقلال مالى ، ومستوى معيشة مرتفع ، وإلغاء للملكية الفردية لوسائل الإنتاج ، ولاستغلال اقتصادى ، تصبح لا قيمة لها. وحين تعمل على دعم الحرية بعناصرها الحقة ، فإن تساوى الفرص وتكافؤها هى عنصر الحرية الأول .

أما الانفرادية البرجوازية ، انفرادية الأبراج العاجية والأرستقراطية الفكرية والجهل المطبق بروح الجماعات وميزات الشعوب ، وأما الاستقلالية البرجوازية ، استقلالية الاستغلال والرجعية ، وأما الحرية البرجوازية حرية الأقلية فى سلب الأغلبية ثمار عملها ، هذه الانفرادية، وهذا الاستقلال، وهذه الحرية، هى التى تنادى الماركسية بهدمها وتكافح لإلغائها ، لأنها تتعارض مع اجتماعية الإنسان .

إبراهيم عامر

إلى الدكتور مأمون عبد السلام

أعجبنى مقالك فى الرسالة (البحث العلمى) بقدر ما أفادنى . إنها ملاحظات عميقة وإرشادات سديدة لا غنى عنها لكل باحث متتبع . ولا سيما تلك الشروط الحكيمة التى لو سار عليها العلماء والمتعلمون فى بلادنا لتقدموا فى مضمارى العلم والعمل على سواهم .

ذلك قولك : (فإن كشف فى بحثه نقطة تخص أحدهم فليبادر بأطلاعه عليها لأن التعاون من روح العمل . وإن عثر على كتب أو نشرات تفيد أحدهم وجب إرسالها إليه لأن ذلك يبعث على توثق العلاقة ومحو التنافر وغرس المحبة والوئام بين أفراد يجب أن يكونوا أدعى الناس إلى التضامن فى خدمة العلم والإنسانية) .

من ذلك المقال النفيس زدتنى تفاؤلا بعدم انعدام الإنسانية وكونها فى نفوس لا تزال نبراساً يستضاء به ، وبلسما للجروح المتسممة وعوناً على نهوض الضعفاء والعاجزين ...

(ثمانية) عبد الجبار محمود

جائزة (الكاتب المصرى) للقصة

قررت إدارة (الكاتب المصرى) للطبع والنشر التى يشرف عليها الدكتور طه حسين بك من الناحية الثقافية إنشاء جائزة سنوية للقصة قدرها مائة جنيه .

وهى تدعو الكتاب والمؤلفين إلى الاستباق لنيل هذه الجائزة . وستحكم بين المستبقين لجنة مكونة قوامها خمسة من كبار الأدباء الممتازين فى مصر — وقد حددت آخر موعد لتقديم القصة يوم ٣١ يناير ١٩٤٦ .

وهذه هى أصول المسابقة .

١ — المسابقة مفتوحة للكتاب العرب جميعاً على اختلاف الأقطار العربية فى الشرق والغرب .

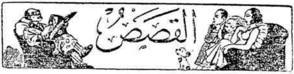
٢ — الكاتب حر فى اختيار الموضوع الذى يكتب فيه لا يقيد بزمان ولا مكان ولا بيئة ولا اتجاه .

٣ — يجب أن تمتاز القصة بالابتكار وقوة الخيال وجمال اللغة العربية فى الشرق والغرب .

٤ — القصة التى تظفر بالجائزة ملك لشركة الكاتب المصرى — إدارة الطبع والنشر تطبعها وتذيعها على أن تحتفظ لصاحبها بحق المؤلف وقدره عشرون فى المائة من ثمن البيع الفعلى بعد الخصم — وهذا الحق مستمر مهما تتعدد الطبعات . وكل ذلك يجرى طبقاً للنظام المعمول به فى شركة الكاتب المصرى والذى يستطيع كل كاتب أن يطلع عليه .

٥ — يجوز لشركة الكاتب المصرى أن تطبع القصة الثانية إذا أوصت بذلك لجنة التحكيم وقبله صاحب القصة فى حدود النظام الذى أشير إليه فى البند السابق .

٦ — يرسل الكاتب نسختين من قصته مكتوبة على الآلة الكاتبة بعنوان شركة الكاتب المصرى ٢٦ شارع جلال — القاهرة — إدارة الطبع والنشر — ولا تقبل أى قصة تصل بعد تاريخ ٣١ يناير ١٩٤٦ .



أم ...

للكاتب النمسوي فنتر شبافكي

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

[هذه قصة أم — فرقت عن زوجها — فحاولت وجاهدت وتحت في سبيل رفع ولدها إلى ذروة المجد ... فهل وفقت؟ ... ذلك ما أبانه « فنتر شبافكي » في سياق هذه القصة، وهي من روائعه. ويعد « شبافكي » من كتاب « النمسا » المبرزين في فن القصة، إذ يمتاز بطلاوة أسلوبه وصدق وصفه وسمو معانيه] (مصطفى)

في صحوة يوم رائع من خريف سنة ١٨٤٤ وقفت سيدة في نافذة دارها المعروفة باسم « ستاج هوس » في حي « ليبولد ستادت » تلقي بنظرات حائرة قلقة إلى الطريق؛ وكانت تبدو فاتنة حسناء على الرغم من أنها تدنو من عقدها الرابع ... أما وجهها فكان مجالاً لانفعالات شتى تعانيها امرأة طلقها زوجها، فاضطرت إلى إعالة بنيها ... وأخذت على عاتقها تربيتهم وتنشئتهم ...

ويغلب على أخلاق تلك السيدة — وهي من الطبقة المتوسطة — الرزانة والتواضع والهدوء ... ومع بساطة ثوبها شاعت فيه الأناقة والبهاء ... وينبعث من عينيها شعاع يعبر عما تستران من قلق، ويجول فيهما التوسل إذا ما انحسرت أهدابهما ...

حانت ساعة الغداء فطرح على المائدة خوان ناصع نظمت فوقه ست صحاف — صنعت في « فينا » — وتوسط المائدة زهرية محلاة بالزخارف وصفت في أنحاء الغرفة أريكة وستة مقاعد — كسيت بالمخمل — وقام في أحد جوانبها صوان بأدراج نحاسية الحلقات ... استقرت فوقه ساعة فوق قاعدة من الرخام ... أما في الجانب المقابل فصوان آخر عليه صليب غطى بزجاج — رسمت عليه بعض الطيور المائية والبرية — ويوجد في ركن متطرف « بيانو » وضعت عليه زهرية فيها زهور ذابلة أما جدران الغرفة فزينت باللوحات الزيتية ... والصور التذكارية ...

جلس في الحجرة التالية غلام في السادسة عشرة: باهت الوجه، يعلوه الشحوب ... مكباً على لوحة للرسم وقد انصرف إلى عمله بكل حواسه. بينما جلست على مقربة منه في النافذة فتاتان تحيكان في صمت، وبعد هنيهة اندفع طفل في الثامنة من عمره إلى أمه ودفن رأسه بين ثنايا ردائها ... وراح يئن ويصيح: « إني جائع يا أماه » فقالت الأم في تهكم وقد أضجرها بنواحه: تناول شيئاً من الملح فسوف تغدو عطشان أيضاً ... » وراحت تحدث نفسها: « لست أدري ما الذي يفعله إلى الآن، وهو يعلم أني سأقدم إليه اليوم « طبقه المحبوب ». لابد أن شيئاً مهماً عاقه عن العودة ... »

وفي هذه اللحظة دخلت خادمة العائلة العجوز « وابي » تحمل باقة من الزهور وضعتها على المائدة، فسألتها سيدتها في دهشة:

— من ذا الذي بعث بتلك الزهور الجميلة؟!

— إنها من لدني يا سيدتي، وسأهديها إلى سيدي « جوني » ... فاليوم من أدق أيام حياته، ولكني متأكدة من رضائه ... لقد قال لي عند ما تركنا هذا الصباح « انظري يا بتي » فهو يناديني « بيتي » لا « وابي » كالآخرين، فهو طيب القلب ... قال: « انظري يا بتي » إذا عدت بأقدام ثابتة راسخة وفي سترتي زهرة فاعلمي أني نلت ما كنت أطمع إليه، وإذا كانت ساقاي متخاذلتين والزهرة في قبعتي ... فهذا معناه الفشل والإياب بخفي حنين ... »

فقالت سيدتها: « ولكنه لم يطلعني على شيء مما تقولين ... يا إلهي لو أنه نال الإذن الذي يوده! إني لخائفة من رفض طلباته لأني سوف أكون اللومة، فقد كنت أستحسنه وأقف إلى جانبه ضد أبيه ... »

— انت مخطئة في زعمك ... فسوف يجاب إلى طلبه وينال بغيته.

— إني لست خائفة من ذلك، فهو لا يهتم بالجيش كاهتمامه بتكوين فرقة موسيقية ... ولكن .. ماذا سيؤول إليه أمره

إن هو فشل ؟ سوف يفقد آماله فى المثور على وظيفة فى الجيش ... ويعود إلى البحث عن عمل موسيقى حقير فى المطاعم ... وهذا النوع من الأعمال ... آه طالما حذره والده من ذلك ... إن تلك الأعمال شاقة جداً وأفقها ضيق ، فواحد فى المائة هو الذى ينال مأربه ويرتقى إلى ذروة المجد ... » فقاطعها يوسف بعد أن ترك لوحة الرسم قائلا :

— ولكن جونى سيكون ذلك الشخص ... فهو عبقرى ... وقد عزف لى لحنه « الولس » الجديد البارحة ... ولم أسمع من قبل شيئاً يسيطر على النفس ويملك الفؤاد كذلك اللحن ...

— أصبت يا بنى ، فهذا اللحن جعلنى أضحك وأبكى فى آن واحد ... إنه ليذكرنى بلحن أبيه ... ولكن لحن جونى يداخله شيء من الحرارة ... شيء من — لا أدرى بماذا أعبر . من المؤكد أنى لم أكن مخطئة عند ما تشاجرت مع أبيه فى هذا الشأن ... لأنى أعتقد أن جونى لايقل عن أبيه عبقرية ونبوغاً ... إنى أعرف بعض الشيء عن هذا اللحن ؛ لأن أباك كان يعزف لى أحياناً أنغامه الجديدة فى ركن من الحديقة عند ما خطبنى ... كنت أصاحبه بالعزف على قيثارتى ... وكان يرجّع تلك الأنغام ويعيدها حتى تبلغ شأو الإتقان .

— لست أدرى سبباً لتلك القسوة التى يصبها والدنا على « جونى » ! ؟

— ليس من شأنك أن تتحدث عن أبيك أيها الأحمق ... ربما كان على حق ؛ ولكن قلبى لا يدعنى فى سلام . إن ذلك يعنى كل السعادة لذلك الفتى . فبهذا يخبرنى قلبى ... » فصاحت « وابى » فى اضطراب .

— هه ... ها هو سيدى جونى ينحدر إلينا فى الطريق ... ولكن لا أستطيع أن أتبين إن كانت الزهرة فى سترته أوفى قبعته ! » فقالت الأم فى مرح :

— إنها لا شك أنباء سارة ... فها هو يشير بيده إلى .

— الزهرة ؟ ! أين الزهرة ؟

— إنها من المؤكد فى سترته ...

وبعد لحظات هرول « جونى ستروس » وهو شاب فى التاسعة عشرة ذو قوام نحيف وشعر أسود وعينان براقتان ... وصاح وهو يمسك بورقة فى يده : « نلته ... نلت الإذن .. » فقالت الأم وهى تتهالك على مقعد :

— « شكراً ! شكراً يا إلهى ... » فركع جونى إلى جانب كرسيها ... وراح يمطر يديها بالقبل . وصاح فى حماسة :

— آه يا أماه ... إن ذلك كله يرجع إلى فضلك أنت ... أيتها الأم العزيزة . سترين كيف أنى سأشرف لقب العائلة ... إنى لتجرى فى عروقى دماء آل « ستروس » إن رأسى يموج بالأنغام ، منها ما يحزن ومنها ما يفرح ... إن عائلة ستروس ستفخر بى ... ولن تهدأ ثائرتى حتى أضيف إلى مجدها التالد مجداً طريفاً ...

— « إذن فقد نلت الإذن للظهور أمام الجمهور ... » ولكن ما لبثت الأم أن قالت فى لهجة حزينة : « لست أدرى كيف يتلقى أبوك ذلك النبأ ! » فأجاب جونى فى غير مبالاة :

— ليس هناك من يكترث لما يقوله أبى ... كم كنت حزيناً عند ما أخبرونى أنه يجب أن أحوز موافقة والدى ... لولا أن السيد « بال » ذلك الحاكم الطيب جعل الأمر فى غنى عنها ... والآن ليس هناك ما يعوق ظهورى أمام الجمهور مديراً لإحدى الفرق الموسيقية ... أتعلمون ما الذى سيعود علىّ من ذلك ؟ ! الحرية ... الشهرة ... المجد ، حياة ترفع الإنسان فوق ذلك العالم الخامل . وداعاً أيتها السجلات ... لقد حطمت قيودى بعزمى الراسخ واعتدادى بنفسى ... ضعونى على منصة المدير ودعونى أنصت إلى التصفيق ... ثم استمعوا إلى تلك الألحان العذبة الشجية التى ستنساب فى تسلسل ... »

وأخذ — فى نشوة تلك الحماسة — يراقص والدته ثم خادمته العجوز « وابى » .

خيّم الصمت على الجميع حول المائدة ما عدا جونى الذى طفق يتحدث عن مشروعاته : —

سأطلق على لحنى الجديد إسم « قلب أمّ » وسنعزفه فى صالة « دمرير » ذلك المطعم الشهير ... والكل يدرك ماذا أعنى بذلك الإسم ... إنه أنت ... أنت وحدك يا أمّاه ... يامن عاونتنى على صعود أولى درجات المجد ... ولكن والدته كانت فى شغل عنه ،

متجهة بتفكيرها إلى والده ، وانتبهت واقترحت على جونى أن يسمى اللحن الجديد « الأمر بالمعروف »

***

وأخيراً حل اليوم الخامس عشر من أكتوبر ، وعلم الجمهور من الإعلانات الضخمة مدار الحديث في الأندية والحوانيت والمقاهي ... أدرك أن « جونى ستروس » كوّن فرقة موسيقية يديرها لعزف لحنه الجديد في صالة « دمرير » في « هتزنج » ...

واجتمع جميع أهالى « فينّا » لمشاهدته : إمّا نصراً يسمو إلى أوج المجد ، أو فشلاً يهبط إلى الحضيض ... وبلغت حالة التوتر أقصاها بين ذلك الجمع الحاشد ، ... وكان لظهور ذلك الفتى الفتّان بمظهر الفنّان بتجاعيد رأسه وبريق عينيه أجمل وقع متباين في النفوس ... وتمّت النساء وقد استخفهن الإعجاب فرحن يهتفن ويشدن بعبقرية ذلك الفنان ... بينما جعل فريق المعتدين يصفقون ويصفرون ... وقوبل لحن المقدمة بشيء من الفتور وتصفيق ضئيل خلو من حرارة الإعجاب ...

وجلست فى المطبخ — المجاور للصالة — امرأة تحاول أن تسيطر على أعصابها التى شملها الاضطراب ... فقالت « وابى » العجوز — وكانت جالسة بالقرب منها : « ما هذه إلا المقدمة ... ولحننا هو التالى ... »

وكانوا إذ ذاك قد بدأوا فى عزفة ... وانتهى لحن « الأمر بالمعروف » ... انقضت لحظة من الصمت ... لحظتان ... ثلاث ، ثم إذا بعاصفة من التصفيق ترجّ أنحاء الصالة ... وكان ذلك باعثاً على تورّد وجنتى الأم بعد أن علاهما الشحوب ... كانت تقدّر مبلغ الإخلاص الذى يقابل به الجمهور لحن ولدها ... وفجأة سكنت الضجة وأعيد عزف اللحن من جديد وعادت عاصفة التصفيق أشد من الأولى ... كانت تزيد كلما أعيد عزف اللحن حتى لكأن ليس لها نهاية ...

جلست الأم فى مكانها الخفى — وقد ارتضته لنفسها — ترتجف من الابتهاج ... وأبكمها الفرح فعجزت عن النطق ... وكانت نيران المطبخ تلقى على وجهها ظلالاً أرجوانية ... وبغتة اندفع « جونى » إلى ذراعيها واحتضنته ، وتدفقت دموع الفرح على وجنتيها فى انفعال ظاهر ... فصاح جونى : —

أسمعت يا أمّاه ؟ ! لقد كنا على حق دائماً ... والآن يجب أن نعمل على إغاظة ذلك الرجل العجوز ... والدى ... »

واندفع خارجاً ... وبُدىء فى عزف لحن « لورنا ولس » الذى ألّفه والده ... فثار الجمهور وأخذ يصيح ويطلب إعادة لحن « الأمر بالمعروف » فكان هذا فوزاً له ... وانتصاراً على أبيه . ونهدت « وابى » العجوز واغرورقت عيناها بالدموع وقالت « آه ... لو يرتد لى شبابى وأعود جميلة ... لقبّلت سيدى جونى مراراً ، وتكراراً ... »

***

وفى طريق العودة فى عربتهم ... مالت الأم على ولدها وطبعت على جبينه قبلة مترعة بالحنان ... وقالت :

جونى ... إن هذه ساعة حزنى وسعادتى التى لا تقدر يابنى ... إنى لأشعر كأنى ولدتك من جديد ... »

وكانت هذه هى الكلمات الحقة التى قدّر لأم أن تعثر عليها ... أم محّت بنفسها فى سبيل ولدها ... تجلّدت أمام الشقات وذلّلت ما عرض لها فى سبيل تحرير عبقرية ولدها من الاندثار ...

(طنطا) **مصطفى جميل مرسى**